

مائة حديث عن الصيام

كراس جديد لرمضان 1432.

مخطط العرض.

1 – مقدمات عامة.

2 – القواعد العشر الأولى في فقه التدين.

3 – بين يدي الصيام وشهر الصيام.

4 – مائة حديث عن الصيام مرتبة بحسب موضوعاتها.

5 – كلمات في خاتمة الكراس.

مقدمات عامة.

1 – الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على خير من صام وصلى وقام وأهل سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أولي الأبواب والنهى.

2 – سبق أن نشرت على موقع الحوار.نت (المنتدى الكتابي) قبل سنوات منصرمات كراسا عن الصيام إنتهجت فيه سبيلا يغلب عليه الحكم العملي في فقه الصيام وإن لم يخل من محاولة لصلة الحكم العملي بمقصده الجزئي أو الكلي ما إستطعت إلى ذلك سبيلا. ثم بدا لي بمناسبة حلول رمضان المعظم لعام 1432 هـ أن أجمع ما إستطعت من الأحاديث النبوية في شأن الصيام حتى ربا ذلك عن مائة .

3 – مقصدي الأسنى من ذلك هو محاولة تتبع شعيرة الصيام من قوله وفعله مباشرة صلى الله عليه وسلم ما إستطعت إلى ذلك سبيلا حتى كدت أن أختار عنوانا لهذا الكراس (هكذا كان

يصوم عليه الصلاة والسلام). منطلق في ذلك هو أن بين الحديث وبين الفقه — ليس في الصيام فحسب بل في أكثر من مبحث ديني أو شرعي — ما بينهما من نشازات تعيق قيام علاقة حسنة قوامها التكامل دون جور من هذا على ذاك ولا من ذاك على هذا وذلك بسبب طارئ يعرفها الدارسون لمسيرة التدوينات الفقهية في تاريخنا وتأثرها بأحوال الأمة نهضة و تقهقرا.

4 — كراس جديد يضاف إلى الكراس السابق عن الصيام. إنتهجت فيه نهجا مركبا بين التجميع والتصنيف من جهة وبين أعمال نظرات وتأملات كلما سنحت الفرصة بذلك من جهة أخرى سيما إذا تعلق الأمر بإستنباط مقصد جزئي أو التذكير به أو محاولة صياغة عقيدة روحية تعيد للحكم العملي تكامله الجميل مبنيا على أرجله الثلاثة : منشؤه الروحي ومقصده المراد وطريقته العملية. كثيرا ما يستهين بعضنا بالجهود التجميعية بمثل ما يستهين الآخرون بالجهود التنقيحية تخريجا وتحقيقا بسبب لوثة وراثتها قوامها أن التأليف لا يكون سوى إبتكاريا إنشائيا إجتهاديا تجديديا. أبوح للقارئ بسر واحد من أسرار التجميع : التجميع يجعلك أشد إحاطة بالموضوع من أكثر ما يمكن من جوانبه كمن تنزه في حديقة غناء فظل يحمل نفسه حملا حتى لم يدع زهرة واحدة من زهراتها إلا ولثمها. للتجميع صلة — بل صلات — بالتفسير الموضوعي الذي يحتاجه عصرنا أما الإقتضاب والإجتزاء والإختصار فليست سوى إبتسارات لا تنير دربا ولا تضيء طريقا.

5 — إذا أعملت جهدا تجميعيا في موضوع ما (كيف كان يصوم مثلا عليه الصلاة والسلام) فإنك تقيد أمرا كبيرا لا يطلع عليه غيرك : تتبلور عندك صورة كاملة جامعة عن صيامه صلى الله عليه وسلم في مختلف الأحوال وكذا صورة أخرى عن إفتائه الصائمين والصائمات في الضرورات والحاجات عزيمة حينا ورخصة حينا آخر.. ثم يستوي في ذهنك محمد النبي الصائم عليه الصلاة والسلام. تستوي في ذهنك صورة جديدة له عليه الصلاة والسلام. صرحت مرات ومرات ولن أزال أصرح بأن بعدا جديدا كبيرا جدا عن شخصيته عليه الصلاة والسلام أضافها إلي كتاب لم يكتب في موضوعه حتى اليوم بل هو سفر كما سماه بعض فقهاء العصر المقاومين (تحرير المرأة في عصر الرسالة). ذلك هو الذي أغراني بتتبع شخصيته من طور لآخر ومن حقل لآخر. كيف هي صورة المرأة عنده. كيف يصوم وكيف يفتي الصائمين والصائمات. كلما حبست نفسي على طلب العلم في حقل ما حتى أضيفت إلي أبعاد أخرى من شخصيته صلى الله عليه وسلم. أنى لك أن تحيط بتلك الشخصية وأنت مع الكتاب في خصام؟ بل أنى لك ذلك وأنت مع القلم والمداد في خصام؟ أم تظن أن شخصيته يمكن إستيعابها بجماع ودقة في أيام معدودات أو شهور أو سنوات؟ ذلك هو ظني : لا تحيط به حتى تقضي من عمرك حقبات في دراسة حياته والنظر في سيرته وبمثلها ردهات في محراب التعرف إلى شخصية من تربع على عرش الخلق العظيم طرا.

6 — ذلك هو قصدي من هذا الكراس الجديد عن الصيام. يتجه القصد إلى معرفة محمد عليه الصلاة والسلام أكثر من قصد معرفة الصيام سيما أن الكراس الأول حاول الإحاطة بذلك ولا شك أنه أصاب وأخفق في الآن نفسه.

قواعد عشر أساسية في فقه الدين.

**حاجة التدين إلى قواعد أساسية ينسلك بها فقهه ويسير عليها علمه هي حاجة الفلاح إلى مواسم
الفلحة وأرضها وشروطها الموروثة علما أو تجربة وهي حاجة الطبيب الذي يباشر معافاة
الأبدان. الحاجة هنا هي الحاجة هناك بالتمام و الكمال.**

جمعت من تلك القواعد زهاء مائة قاعدة أعد لها مؤلفا خاصا بها إن شاء الله تعالى سوى أنني
إنقيت منها عشرا يمكن أن تكون صالحة لكل عبادة وقربى إليه سبحانه. العشر الأول من تلك
القواعد هي مخها وهي رأسها بل هي جذرها الذي ينبت الجذوع والأغصان والثمار والأوراق
ثم الظلال الوارفة الندية.

لا يتسع المجال هنا لشرحها وحسبي أنني ذكرت بها لئلا ينخرم الكراس لحسابها جورا على
مقصده الأسنى : كيف كان يصوم عليه الصلاة والسلام وكيف كان يفتي الناس من الصائمين
والصائئات في مختلف الأطوار والحالات.

- 1 – أولوية النية ومركزية القلب.**
- 2 – معرفة الذات تميزا وقصورا بما يفضي إلى معرفة السبيل والرسالة.**
- 3 – الجمع بين الإلتباع والإبتداع نشدانا لشروط التفكير العقدي الإسلامي الصحيح.**
- 4 – نشدان حسن الخاتمة بأي درجة من درجاتها.**
- 5 – مزاولة التجديد والإجتهد نشدانا للإحسان والإتقان.**
- 6 – أولوية العلم والفقه والعرفان جمعا بين الكتاب والميزان وطلبا للإحسان في الفهم والإتقان في العمل.**
- 7 – فقه سلم الأولويات ومراتب الأعمال نشدانا لتجارة رابحة.**
- 8 – أولوية الجماعة وفقه التعدد.**
- 9 – الأسرة إحدى المشاريع الإستثمارية الثلاث التي لا غنى بك عنها.**
- 10 – الدنيا قاربك إلى شيطان النجاة فلا تطلقها.**

بين يدي الصيام.

الصيام هو الكف لقوله سبحانه على لسان مريم البتول العذراء عليها السلام : « إني نذرت

للرحمان صوما فلن أكلم اليوم إنسيا .“ ذلك هو المتناسب مع إبتداء الجذر (ص و م) بحرف الصاد المفخم المستعلي منفتحاً بالكامل بصفيره القوي ثم يؤول إلى إنغلاق بالنطق لا يسمح بدخول شيء سواء نطقت الحرف ذاته (صاد) أو الجذر كله (ص و م) . ألا ترى أن المبنى اللغوي بجذره عامة وبمبتدأه خاصة يصور لك المعنى من الصوم عندما ينغلق فيحبس كل أت ويلفظ كل قادم؟

وهل يحتاج المرء في دينه إلى الكف؟ أجل. يحتاج إلى الكف كثيراً بسبب أن اللسان بكلامه المهذار شهوة — بل إن الكلام من أشد الشهوات في الإنسان — لا بد أن يدق في العلاقات الطبية أسافين ثخينة. وأكثر الأعضاء حركة في الإنسان هو لسانه رغم صغر حجمه. وبمثل ذلك يحتاج المرء في دينه إلى الكف عن بعض شهواته الأخرى من مثل : الأكل والشرب والجماع. يحتاج المرء في دينه إذن إلى الكف بمثل حاجته إلى الفعل. لا قيمة للفعل إلا في مكانه المناسب وبحجمه المناسب وبمثل ذلك لا قيمة للكف — أي كف — إلا في مكانه المناسب وبحجمه المناسب. ثم أدى التحقيق إلى أن الكف أعسر على الإنسان من الفعل بما جعل عبادة الترك أشد عليه من عبادة العمل والصيام هو العبادة التركية الوحيدة رعاية لقصور الإنسان وإنجباله على الحركة والفعل والمبادرة. الكف في حياة الإنسان هو كفة الميزان الأخرى التي لا بد من رعايتها لئلا ينخرم الميزان فيظل المرء مهذاراً في لسانه وفي حركته وفي جارحته بل حتى في خواطر قلبه.

دعني أقول : الصوم سجن إختياري يضع فيه المرء العاقل نفسه مرات منتظمت محددات مصداقاً لقوله عليه الصلاة والسلام : „ الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر“. سجن يذكره بالمسجونين في سجون الجوع والظمأ والعري والحاجة والفاقة سنوات وعقوداً. سجن يوفر له فرصاً لمحاسبة نفسه الآبقة من الحساب أبداً في خلوات لا تتسلل إليها ذئاب الكبر والبطر والعجب والغرور والرياء.

الصوم مضاد حيوي نافع جداً لمقاومة غرائز الشر.

منافع الصيام البدنية تحدث عنها الأطباء حتى غداً ذلك معلوماً من الحياة الصحية بالضرورة ثقافة منداحة بين الناس ناهيك أن كثيراً من غير المسلمين — ولا حتى المتدينين بأي دين أصلاً — يزاولون الصيام نشداناً للعافية البدنية بما يتيح للجسم نفي إفرازاته السامة لطول الأكل والشرب والإستتماع سيما إذا صاحب ذلك إسراف. وذلك أمر مقصود من الإسلام حتماً لقوله عليه الصلاة والسلام : „ المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير“. ولو لم يكن الصيام شريعة إسلامية ملزمة لكان أولى بالعقلاء من المسلمين مزاوله الصوم نشداناً للعافية البدنية.

أما المنافع النفسية والروحية فهي لا تكاد تحصى ولا تعد حقاً وصدقاً وعدلاً. ونقصر على مثال واحد لذلك وهو ورود الصوم كفارة في خمسة مواضع من القرآن الكريم. الكفارة هي الضريبة التي على المخطئ دفعها لزوال الإثم. في التشريع الإسلامي هناك قاعدة أصولية منطقية عقلية محققة هي : الجزاء من جنس العمل. معنى ذلك هو أن الكفارة في التشريع الإسلام لا بد لها أن تكون من جنس العمل — بأي صورة من صور الجنسية — والمقصد من ذلك هو : مساهمة تلك

الضريبة (الكفارة) في تجفيف منابع الفعل الخاطئ في قابل الأيام. المقصود هو تجفيف منابع من جهة ومن جهة أخرى فإن المقصود هو : التقليل من ذلك وليس القضاء عليه بالكلية سيما مع الناس كافة بسبب إطراد قانون الإبتلاء ودورانه مع الغريزة البشرية ليكون الإنسان دوما معرضا للخطأ وحتى لا يكون الخطأ — كما هو في المسيحية المزيفة — ذنبا أزليا لا يغفر أو أنه يحمله فلان عن فلان ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : „ كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون “. وبمثل ذلك قال سبحانه مثبثا قيمة المسؤولية الفردية ومرسخها في أكثر من موضع من مواضع الذكر الحكيم : „ ولا تزر وازرة وزر أخرى “.

كان الصوم إذن ضريبة تعدل بعض الخطايا من مثل : الظهار والصيد في الحرم واليمين المنعقدة والقتل وفدية المريض في الحج. رتبت على تلك الخطايا — وبعضها نابع من القصور البشري من مثل فدية المريض في الحج — ضرائب بدنية هي الصوم بديلا عن ضريبة أخرى أو ضريبة مكملة أو ضريبة مقصودة بحسب حالات التشريع. هي ضرائب بدنية (بسبب قول الفقهاء أن الصوم عبادة بدنية) المقصد الأسنى منها : معاقبة النفوس بالصوم الذي يحملها على ترك شهواتها المباحة بغرض تأديبها وتربيتها.

الصوم إذن مضاد حيوي نافع جدا لمقاومة الجرائم النفسية من مثل : جرثومة الكبر أو الإحتقار التي تحمل على الظهار أو جرثومة العدوان على المحرمات التي تحمل على عصيان الأمر الإلهي الصريح بمنع الصيد في الحرم أو جرثومة شهوة اللسان التي تحمل على الحنث في يمين منعقدة أو جرثومة العدوان على أكبر المقدسات والحرمات في الإسلام أي حياة الإنسان التي تحمل على القتل.

الصوم إذن مضاد حيوي يجفف منابع العدوان والغرائز التي تحتاج إلى تهذيب وليس إلى إستئصال. الصوم إذن دواء نفسي ناجع جدا بسبب أصل قالة عربية قديمة : القتل أنفى للقتل وترجمة ذلك في شريعة الصوم : الكف أدعى إلى الكف والترك أدعى إلى الترك والمنع أدعى إلى المنع.

الصوم إذن مدرسة تربوية وأخلاقية ونفسية وروحية لا يتخرج منها سوى أولئك الذين تأهلوا لعماراة الأرض بالخير والزينة والعدل والرحمة والقسط.

الصوم مفردة من مركب خماسي عجيب في مقاومة الشر.

هي صادات خمس كما أسميتها. صادات أشير إلى بعضها في أحاديث نبوية صحيحة. ليس صدفة أن تكون الصاد هي مبتدأ ذلك كله بما أودع فيها الباري الذي علم الإنسان البيان من قدرة عجيبة على بناء المعنى المناسب بالمبنى المناسب. تلك خاصية ربما لا وجود لها سوى في اللغة العربية العظيمة. ذلك هو الذي جعلها لغة الحق والعدل في الدنيا ولغة الحق والعدل في الآخرة. لو كان ذلك غير كذلك لما إختيرت لتكون لغة الحق ولغة كتاب الحق.

1 – صاد (الصلاة).

2 – صاد (الصبر).

3 - صاد (الصدقة).

4 - صاد (الصدق).

5 - صاد (الصوم).

وردت الصادات الأولى في قوله عليه الصلاة والسلام : ” .. الصلاة نور والصبر ضياء والصدقة برهان “. كما وردت الصادات الأخرى في أحاديث أخرى صحيحة : ” .. الصوم جنة “. و “ الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة “.

خمس صادات وخمس مرحمات.

الصلاة نور. نور يرحم المصلين بما يوفر لهم من بصائر لمعالجة الدنيا وغوائلها.

الصوم جنة. جنة ترحم الصائمين بما توفر لهم من حماية و أوجية ضد ذئاب الشيطان وذئاب الإنسان في الآن نفسه.

الصدقة برهان. برهان يرحم المتصدقين والمتكافلين بما يوفر لهم من بركات في الرزق ونسج لوشائج التآخي والتحابب والتعاون والتضامن والتواصي بالمرحمة ورص للصف. برهان يحتاج إليه المتصدق نفسه حجة من نفسه على نفسه وهو برهان يحتاج إليه الناس لتمييز الكاذب من الصادق ولا يواظب على التصديق في السراء والضراء إلا مؤمن.

تلك عبادات ثلاث رئيسة مقررة في النظام المدرسي الإسلامي فلا يرث المسلم علما ولا قبولا حتى يوفي بها قدر المستطاع.

غير أن ذلك يحتاج منه إلى أمرين آخرين يزكيان ذلك ويشدانه :

الصدق هاد إلى الجنة. هاد يهدي إلى البر ثم إلى الجنة فهو رحمة بما يوفر لصاحبه من سلامة طوية ورطابة قلب لا يحمل بغضاء ولا تتسلل إليه ذئاب العجب والغرور والرياء.

الصبر ضياء. ضياء يعزز النور. النور الذي تنشئه الصلاة نور في القلب ينير دروب الحياة أما الضياء الذي ينشئه الصبر فهو المسؤول على تثبيت ذلك النور بين يدي المصلي الصابر. يحتاج المصلي إلى الصبر بمثل حاجة النور إلى ضيائه.

فلا صوم إذن يهدم مركبه الباهي العجيب.

هي صادات خمس متراكبة متعاقدة متجانسة كأنها لؤلؤات خمس في عقد جميل يزين جيدا جميلا. لؤلؤات خمس مرصعات لا تخترم واحدة منها حتى ينفرط العقد كله ويؤذن بالإندلاق.

لا صوم بلا صلاة. كيف لا وشهر الصيام هو شهر القيام!

لا صوم بلا صدقة. كيف لا وشهر الصيام هو شهر المواساة كما جاء في الحديث الصحيح.

لا صوم بلا صدق. كيف لا والصيام هو العبادة الوحيدة التي قال فيها سبحانه : “ كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي .. ” أي أنه مصطفى لفرط صدق الصائم بصومه. وهل يصوم مرء؟

لا صوم بلا صبر. كيف لا وشهر الصيام هو شهر الصبر كما ورد في الحديث. وهل يصوم غير صابر على لأواء الجوع والعطش؟

فلا تجعل صومك يتيما منزوعا من عقده الجميل الذي يزين جيدك الجميل.

بين يدي رمضان المعظم.

1 - شهر رمضان ليس شهرا حراما من بين الأشهر الأربعة الحرم التي أشار إليها سبحانه في آخر ما نزل من الوحي أي سورة التوبة. لقد علمنا سبحانه أن الأشهر الحرم الأربعة هي خير الزمان طرا مطلقا لقوله : “ فلا تظلموا فيهن أنفسكم ”. كما قال في بعضها عليه الصلاة والسلام أي في العشر الأول من ذي الحجة الحرام فيما أورده البخاري عن ابن عباس : “ ما من أيام العمل الصالح أحب فيها إلى الله سبحانه من هذه الأيام. فقال الصحابة الكرام : ولا الجهاد في سبيل الله يا رسول الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام : ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج في سبيل الله بماله ونفسه فلم يعد بشي من ذلك “. السؤال هو : أي منزلة لشهر رمضان المعظم؟ هل هو أفضل زمنا أم أن الأشهر الحرم الأربعة – أو بعضها على الأقل – أفضل؟ ليس هناك جواب حاسم لا في القرآن ولا في السنة لتبقى المسألة إجتهادية تقريبية. ولكن عندنا بعض الإرهاصات والإشارات. منها أن رمضان هو الشهر الوحيد الذي ذكره القرآن الكريم بالإسم وذلك مرة واحدة في معرض آيات الصيام في سورة البقرة ولم يذكر غيره بالإسم ولو مرة واحدة. ومنها أنه شهر نزل فيه القرآن الكريم وربما ذلك هو الذي جعله موضوعا للصيام بسبب حرمة كتاب الله سبحانه. ومنها أن فيه ليلة هي خير من ألف شهر وهي ليلة القدر وهو أمر لم يتوفر لا لشهر حرام من الأربعة المعروفة ولا لغيرها لا في قرآن ولا في سنة. والمؤكد أنه إذا نافس رمضان منافس فإن منافسه لا يكون سوى ذي الحجة الذي ورد فيه الحديث أنف الذكر أي عشرته الأول وذلك بسبب أن رمضان كذلك يتوافر على عشرة مثلها ومما يؤكد أفضلية رمضان أن عشرة رمضان خاتمة بينما عشرة ذي الحجة بدايته والخواتيم دوما أهل فضل على ما سواهن. تلك هي بعض الإشارات التي لا تحسم أمرا في الأفضلية ولكنها تحدد إتجاها في الأفضلية والله أعلم.

إحتضن رجب الصلاة فكان حراما وإحتضن ذو القعدة وذو الحجة الحج فكانا محرمين وإحتضن المحرم شيئا من الحج بسبب تأمين الحجاج العائدين إلى أهلهم فكان بذلك حراما وبأمر آخر هو إحتضانه لعاشوراء التي نجى فيها سبحانه نبيه موسى عليه السلام من رمز الطغيان في القرآن الكريم أي فرعون.

فما هو نصيب رمضان الذي إحتضن أمرين كبيرين جدا : إحتضن رمضان فريضة الصيام بمثل ما إحتضن نزول القرآن الكريم. فإذا تحدثت عن إحتضانه لمعركة الفرقان التي خلدها الكتاب العزيز (يوم الفرقان يوم إتقى الجمعان) .. إذا تحدثت عن ذلك فإن رمضان يكاد

يرجح بمنافسه من الحرم الأربعة أي : ذي الحجة. والله أعلم.

2 - لرمضان من إسمه نصيب وأي نصيب. هو من الرمنض التي قال فيها المثل العربي : كمستجير من الرمضاء بالنار. الرمنض هي منزلة وسطى في المناخ الطبيعي بين البرودة وشدة الحر. رمضان الزمان هو ربيع العام. إذا كان الربيع هو الفصل المعتدل بدفته بين لظى القيط الهاجر صيفا وبين زمهرير البرد القاسي شتاء فإن رمضان هو ربيع الزمان برمنضه الدافئ بين انحطاط العبادة إلى أدنى مستوياتها وبين إشرئباب النفوس إلى الكعبة الحرام حيث تسيل الدمعات. رمضان هو شهر المقاومة والصبر والجهاد والمواساة والزكاة : زكاة النفوس وزكاة الأموال. رمضان يحمل النفوس برمنضه الدافئ إلى أول حقبات الجهاد أي جهاد النفس بحملها على ترك شهواتها الأساسية الغريزية الأولى من طعام وشراب وجماع فإذا نجحت النفوس في المعركة الأولى كان نجاحها في بقية ساحات المقاومة أولى وأجدر. الرمنض هو توقد دافئ لطيف يمنع تسلل البرودة إلى النفوس بما تغشيه بها من كسل وتراخ ووقود بمثل ما يمنع تسلل حمات الغلو ونشدان حرارة في التدين زائدة عن اللزوم والمطلوب. رمضان هو إعتدال التدين.

ذلك ما إنقذ في ذهني من رمضات رمضان الدافئة فصلا وسطا معتدلا بين تسيب يكاد يأتي على الصلوات المكتوبات وبين غلو يكاد يحتقر عبادة خير العابدين محمد عليه الصلاة والسلام.

رمضان يهيء النفوس برمنضه إلى الجهاد والمقاومة بعد أن يهيء لها مناخات النجاح في الإنتصار على شهواتها شهرا كاملا إنتصارا معتدلا لا جور فيه ولا إنتقام.

مائة حديث عن الصيام.

1 - مائة حديث للبخاري ومسلم منها نصيب الأسد. آفة كثير من طلبة العلم — بل من العلماء أحيانا — هروعههم إلى المرويات المنخولات الزهيدات الضعيفات يستتجد بها فيما هو محكم في الكتاب بل يخاصم بها في أحيان كثيرة ما هو مثبت فيه تثبيتا عجيبا. ألا يشتد عجبك ممن يدع البخاري ومسلم إلى المرويات الهزيلات؟ أليس في العلم نظام مرتب؟ هل هي غابة تتكدس فيها الأحاديث من كل صوب وحذب فيستوي البخاري مع غيره؟ فما بالك إذا كان الحديث متفقا عليه بين الشيخين؟

لذلك إنتقيت من المتفق عليه بينهما من المائة حديث : زهاء 54 حديثا. ومن البخاري منفردا زهاء أربعة أحاديث ومن مسلم منفردا زهاء 10 حديثا. أي أن أكثر المنتقى هنا صحيح إن شاء الله تعالى (أزيد من ثلثي المنتقى). وما عداه هو كذلك ولكن بدرجة أقل ومنه ما هو على شرط أحدهما وإن لم يخرجاه.

2 - مائة حديث لأئمة الرواية منها نصيب الأسد كذلك. على رأسهم أبو هريرة بزهاء ربع المنتقى أي 23 حديثا ثم الأم العظيمة الكريمة عائشة بـ 14 حديثا ثم ابن عمر وابن عباس ثم

أنس. أي أن ثلثي المنتقى (زهاء 65 حديثاً) من رواية أئمة الرواية بل إن منهم من أئمة الدراية كذلك من مثل : ابن عباس وابن عمر وعائشة عليهم الرضوان جميعاً.

هو أمر يعزر العامل الأول : اللجوء إلى الصحيح والأصح ثم إلى الأحسن والحسن وبهما غنى عن الضعيف بله الموضوع ولا حاجة لدين أحكمت محكماته ورسخت ثابته في هزيلات المرويات يتعزر بها ولا حاجة لنا بأثر من ذلك لضعيف هزيل لا في فضائل العمل ولا في غيره بعدما تكفل الصحيح والحسن بذلك.

3 - أمر آخر يثير الإنتباه ويذكي الفقه. من المنتقى 5 نساء هن : الأم الكريمة العظيمة عائشة والأم العظيمة الكريم ميمونة والصحابية مجيبة الباهلية والصحابية معاذة العدوية والصحابية أم عمارة الأنصارية. أردت إبراز هذا الجانب لتصحيح فكرتنا التراثية عن المرأة في الإسلام والحياة. فكرة تلوثت كثيراً بسبب معطيات تاريخية تراثية وحدثية معاصرة معروفة عند الدارسين. عندما نعثر في كمية من الأحاديث النبوية لا يتجاوز عددها مائة من أصل حوالي مليون حديث نبوي (850 ألف حديث بين صحيح وحسن وضعيف وموضوع) .. عندما نعثر في تلك الكمية الصغيرة جداً على خمس راويات أي خمس نساء تجشمن مسؤولية الرواية عنه عليه الصلاة والسلام وإعتمدن رجال الحديث من مثل البخاري ومسلم ومالك وأحمد وأصحاب السنن الأربعة والصحيحين الآخرين: ابن خزيمة وابن حبان. عندما نعثر على ذلك في موضوع شرعي ديني تعبدى قح مثل موضوع الصيام .. كل ذلك كفيل بتصحيح صورة المرأة عندنا في الإسلام وفي الحياة وفي الدين والعلم. راوية الحديث هي معلمة وهي أستاذة وهي حلقة من حلقات الإسناد الذي لولاه - كما قال أهل العلم - لقال من شاء ما شاء. راوية الحديث النبوي الشريف ليست متفرجة على فلم تروي لنا وقائعها. بل هي ناقلة دين وعلم وفقه. راوية الحديث خضعت من لدن البخاري ومسلم إلى شروط في التلقي لا تلفاها اليوم عند ألف من الناس. راوية الحديث يصدق عليها قولك : امرأة كآلف. راوية الحديث عند الإمامين لها شرطان مقدمان : العدالة والضبط. الضبط صفة عقلية والعدالة صفة أخلاقية. لو إطلعت على شروط البخاري لأخذ الحديث - وهو أهون من مسلم قليلاً - لقلت في نفسك : هذا رجل إلتزم بالأبى يسجل في صحيحه حديثاً واحداً. أن تتبوا امرأة في تلك الظروف لرواية حديث ويؤخذ عنها ذلك الحديث ويصبح ذلك الحديث مصدر علم وفقه وتدين .. أن تتبوا المرأة ذلك في ذلك الزمان الذي خرج لتوه من الجاهلية العربية ومن الأمية العربية .. أن تتبوا المرأة ذلك فلا يعني ذلك سوى أن نظرنا إلى المرأة وموقفنا منها يجب أن يعدل في اتجاه العودة إلى الإسلام عودة تخترق حاجبين كثيفين : حاجب الحدث المعاصرة المسماة تنويراً وما هي بتنوير وحاجب الإنحطاط التراثي التاريخي المسمى إتباعاً وما هو بإتباع. هي مهمة عسيرة ومسؤولية كبيرة ولكن عين لها عليه الصلاة والسلام رجالها الذين قال فيهم : ” يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله : ينفون عنه تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وإنتحال المبطلين “.

4 - مائة حديث عن الصيام حاولت ترتيبها بحسب موضوعاتها. هي محاولة نجحت في موضع وأخفقت في موضع آخر. ذلك أن أحاديث كثيرة لا يستوعبها مجال واحد بل لا بد لها من حقول شتى لتكشف عن مكنوناتها الغزيرة. ذلك أن صاحبها عليه الصلاة والسلام قال عن نفسه : ” أعطيت جوامع الكلم “ . وقال فيه ربه سبحانه : ” وما ينطق عن الهوى “ . حاولت الإمام ببعض الحقول من مثل : فضل الصوم ودوره ومنزلته وفضل رمضان وليلة القدر

والعشر الأواخر ودور العبادة فيه من صيام وصلاة وقيام وصدقة وتلاوة وذكر وإعتكاف وغير ذلك ومن مثل معرفة دخول الشهر ومن مثل مظاهر اليسر في الصوم والرفق والرحمة وهو أم الفقه في الحقيقة عند الدارسين المحققين ومن مثل الخلق الإسلامي للصائم ومن مثل أولى الأيام بالصوم المستحب.

الترتيب بحسب الحقول والمجالات من حكمه أنه يساهم في إنشاء العقلية العلمية الفقهية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ولذلك جاء الموطأ أولاً ثم كان الصحيحان كذلك بخلاف المسانيد.

أحد عشر حديثاً تشيد بعض قواعد عبادة الصوم.

إذا كان لا بد من الحديث والفقه معا لحسن الجمع بين الكتاب والميزان ونشدان الحق ما إستطعنا إلى ذلك سبيلا فإن إيراد بضعة أحاديث نبوية صحيحة في مقدمة هذا الكراس ييسر على الصائم الإلمام ببعض قواعد التدين فيما يتعلق بالصيام سواء كان صياما مفروضا أداء أو قضاء عن نفسه أو عن غيره أو صياما منذورا أو صياما مستحبا أو صياما مكفرا. بضعة أحاديث نستهل بها هذا الكراس لتتير لنا عبادة الصيام لما لهذه الأحاديث من صفة الجماع أو الضبط.

1 - الصيام ركن من أركان الإسلام. تثبت ذلك مهم جدا لئلا يشغب على الإسلام شاغب غريب يحاول إخراج الصيام من دائرة العبادة بمثل ما فعل الرئيس التونسي الأسبق بورقيبة الذي لم يعدم موافقين دفعتهم الرهبة أو الطمع أو الجهل إلى الجراءة على ثوابت الإسلام ومحكماته. للإسلام أركان عملية بمثل ما له أركان عقدية. ومن أركانه العملية المحكمة الثابتة فريضة الصيام لقوله عليه الصلاة والسلام فيما هو متفق عليه : « بني الإسلام على خمس : شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت لمن إستطاع إليه سبيلا ». ذلك التثبيت النظري يحتاج إلى ترسيخ قولي وعملي جيلا من بعد جيل في زمن أصبح التعدي فيه على المحكمات الراسخات الثابتات أمرا ميسورا لأسباب منها فقدان الأمة لسلطان سياسي يذب عن بيضتها.

2 - الإسلام درجات ثلاث بمثل ما عرفنا بذلك الحديث الصحيح المعروف بالحديث المشهور من رواية ابن الخطاب : « .. الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره والإسلام أن تشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن إستطعت إليه سبيلا والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ». الإسلام درجات ثلاث إذن. إسلام بالجوارح وإيمان بالقلب والعقل وإحسان يتناول الإسلام والإيمان معا تجويدا في العبادة والتقرب إليه سبحانه زلفى. ذلك يعني أن الصيام ينتمي إلى دائرة الإسلام إتيانا وإلى دائرة الإيمان إيمانا بمثل قوله عليه الصلاة والسلام : « من صام رمضان إيمانا وإحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » وإلى دائرة الإحسان كلما أتم الصائم صيامه. الإحسان هو أعلى درجات العبادة ومنه الإتيان الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام : « إن الله يريد من أحكم إذا عمل عملا أن يتقنه ».

3 - النية هي البداية التي يحسن ما بعدها والمقدمة التي تصلح نتائجها. النية التي محلها القلب ركن من أركان الصيام بسبب أن الصيام عبادة والمقصود صيام الفرض أو النذر أو القضاء أما صيام النفل فيمكن تأخير النية فيه حتى الزوال كما ورد في الحديث والفقهاء. الذي يهملها هنا هو أن النية لها مقصد هو : حزم الصائم شخصيته ونفسيته وعزيمته بما يجعل منه كائناً مسؤولاً نابذاً للتردد والترهل والإمعية. ذلك هو مقصد النية في كل عمل. ألا ترى أن الصائم لا يأبه لطعام شهى إذا كان صائماً؟ ما هو السر في ذلك. السر في ذلك هو أن النية - كما أكد أطباء الأبدان - تساعد على تجفيف منابع اللعاب في اللسان. لذلك تشترط النية في كل عبادة ولا تشترط في غير ذلك من العادات من مثل الطهارات ولا حتى في الزكاة أي ما إتصل بالدنيا أو غلبت عليه الدنيا من جانب من الجوانب. ذلك مبحث أصولي لا بد من دراسته لمن يريد فقها في الدين. الذي يهملها هنا هو أن أجر الصائم يحدد يوم القيامة بناء على معطيات منها : النية. ولذلك قال عليه الصلاة والسلام في المتفق عليه عن أبي هريرة : "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى". ولم يحدثنا عن أمر الهجرة في حديث النية إلا لضرب الأمثال وإلا لزمع زاعم أن النية مرتنة بحدث الهجرة وهو أمر لا يقوله عاقل.

4 - الصيام ينتمي إلى عالم الفرائض المفروضة التي أمرنا بعدم إضاعتها لقوله عليه الصلاة والسلام : "إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها". وهكذا يعلمنا عليه الصلاة والسلام أن الإسلام أربعة مناطق لا تشغب منطقة على أخرى. كثير من الناس اليوم يسألون عن المسكوت عنه في الصيام وفي غير الصيام. ذلك أمر مبتدع حقا ومنهي عنه حقا. السؤال عن المسكوت عنه يعكس فراغاً وخواءاً في الشخصية. ينم عن بطالة وعطالة. ما حكم من ابتلع ذبابة أو غبار طريق أو إكتحل لعمش أو تبرد بماء أو تطيب أو شرب دمة من عينه أو ذرعه القيئ فعاد إليه .. وأسئلة أخرى لا تحصى حقا ولا تعد. هي أسئلة البطالين وهي أسئلة الجاهلين كذلك. وهل البطالة والجهل إلا وجهان لقطعة واحدة. كلاهما يفضي إلى الآخر ويولده.

5 - ما يعتور صيامك مما لا حيلة لك فيك لقصورك البشري لا شيء عليك فيه. ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : "إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه". لست مجانباً الصواب حبة خردل لو قلت لك بأن أكثر الفقهاء - أجل أكثرهم في القديم والحديث - لا يبالون بهذا الحديث الصحيح الأصل وذلك عندما يوجبون - يوجبون إيجاباً - قضاء على الناسي والمخطئ والمكره. وذلك في مخالفة صريحة لحديث صحيح سيأتي الحديث عنه في هذه السلسلة من هذا الكراس. كأن الله تجاوز عن الأمة الخطأ والنسيان إلا في الصيام. ذلك هو معنى قولي أن الحديث والفقهاء في مجالات كثيرة وحقول أكثر بينهما خصومات وخصومات. إذا إختصم الحديث مع الفقه فإن المؤمن الحصيف لا ينحاز إلا إلى الحديث ما كان صحيحاً صريحاً سيما بعد حسن فهم رأي الفقيه. الفقه إجتهد والحديث وحي يوحى. أقول لأهل الإجتهد المعاصر تجديداً للدين : هذا مقام عمل تحديتي كبير وواسع لا بد له من فرسان يجمعون محكمات الكتاب مع موافقات الميزان لتسوي الحياة الإسلامية على أصولها إستواء الإنسان على أبعاده الفطرية التي خلق بها.

6 - إتيان الخير ليس له حد أما الشر فدونه حدود لا يجاوزها مؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر حين يقتربها وهو مؤمن كما قال عليه الصلاة والسلام : "لا يزنى الزاني وهو مؤمن". ولذلك

قال عليه الصلاة والسلام : ” ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فانتهوا فإنما أهلك من كان قبلكم : كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم ” . أمرنا بالصيام فلا حد لمستحبته حتى إنه أثر عن بعض الصحابة أنهم يصومون الدهر رغم النهي عنه بسبب اختلافات في تعليل ذلك النهي . ولكن ما نهينا عنه فإنما يحسن بنا إعمال قوله : ” لا تقربوا ” . أي عدم القربان المفضي إلى الإجتئاب . أما إقتراف القربان فهو مفض إلى الوقوع وذلك هو ما حدا ببعضهم إلى إعمال سد الذريعة غير أن بعضهم بالغ في ذلك متأثرا بزمانه أو بإهتمامه هو أو بحادثة أثرت فيه .

7 - وفي مقابل ذلك فإن النوافل حرس تؤمن للفريضة حرمتها ولذلك قال سبحانه في الحديث القدسي : ” من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه .. ” . هما قانونان : قانون اسمه أن الفريضة مقدمة وهي سبيل القربى إليه سبحانه ولا سبيل سواها . وقانون اسمه : النافلة عسس يحمي الفريضة أو حرس يؤمنها بمثل ما يؤمن لك حارسك حاجتك . فإن الشيطان إذا أراد الفريضة إحتاج إلى شل النافلة فإن وجدها صلبة توقفت الفريضة منه وإن وجدها هشة أو لم يجدها أصلا إشتبك مع الفريضة مباشرة .

8 - للإثم والبر قوانين فلا تسلم رقبتك لفقير أو مفت بمثل ما يفعل المريد مع شيخه عند الصوفية المنحرفة أو بمثل ما يفعل الحمل الوديع مع مدية الجزار . ليس لأحد أن يؤثمك أو يبرك بإجتهد من عنده . لذلك قال عليه الصلاة والسلام : ” الإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس ” . كما قال في موضع آخر : ” إستفت قلبك ولو أفثاك المفتون ” . يتشدد كثير من الناس هنا لنفي الترخص إلزاما للناس بمذهب واحد أو رأي واحد أو مفت واحد . صحيح أن المقلد لا مذهب له ومذهبه هو مذهب مفتيه كما قالوا بحق ولكن ذلك لا يلغي حقك في البحث عن الفتوى الأنسب لحالك والإجتهد الأوفق بدارك سيما إذا كنت ممن يرجح أو لديك حد أدنى من العلم والفقه سيما في زمن إنتصب فيه للفتوى ممن لا يعلم أكثر ممن يعلم . ليس الترخص منقصة إذا اضطربت الفتاوى لأن الترخص من الدين لقوله عليه الصلاة والسلام : ” إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه ” . الحسم في ذلك ترخصا مقبولا أو ترخصا مذموما هو أمر واحد وهو : نية المستفتي والمترخص وهي نية يحاسب عنها العبد يوم القيامة .

9 - ترك الشبهات فيما لم يتبين فيه رشد من غي أمر مقدم ومحبوب وهو علامة صحة قلبية وعافية نفسية . وذلك لقوله عليه الصلاة والسلام : ” فمن إتقى الشبهات فقد إستبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ” . الشبهات المقصودة هنا هي الأمور التي لم يتبين لك فيه سداد من طيش أو رشد من غي مما يحتاج إلى فقه سديد وعلم رشيد . فما ثبتت حرمة فليس بشبهة وما ثبتت حليته فليس بشبهة كذلك ولكن الشبهة : ” وبينهما أمور مشتهات لا يعلمهن كثير من الناس ” . أي يعلمهن العلماء والفقهاء . ترك الشبهات في مثل هذه الحال هو الورع المطلوب في الدين على ألا يجور ذلك على المباح فيحرمه أو يلحقه بالشبهات جملة وتفصيلا . هناك خيط دقيق رقيق بين الشبهة (الشبهة المقصودة في السلوك وليس في الإيمان لأن شبهة الإيمان أدنى إلى البدع العقدية الخطيرة التي هي بدورها أدنى إلى الكفر والعياذ بالله) وبين الذريعة التي قد تقضي إلى الحرام . هذه تسد أو تقيد بقدر إفضاؤها إلى ذلك وتباح وترسل بقدر إفضاؤها إلى المباح . أما

الشبهة فهي مما لم يتبين أمره أو إختلط فيها هذا وذاك إختلاطا شنيعا يحتاج إلى إعمال
المناطق من لدن الفقهاء تهذيبا وتشذيبا حتى يتحقق الحق فيها.

10 - ومن باب أولى وأحرى تجنب البدع في الدين والإحداثيات فيه لقوله عليه الصلاة والسلام
في الحديث الصحيح: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد". البدعة المرفوضة التي
هي إحداث مردود لا تكون إلا في الدين أي في المعلوم من الدين بالضرورة. أي فيما هو
موقف من الشريعة توقيفا لا إجتهااد فيه ولا معه وأغلبه إما إعتقادي أو تعبدى وأغلبه يأخذ
صورا وهيئات ومقولات وحركات وأزمنة وأمكنة ومقادير وغير ذلك مما هو مبين في الكتاب
والسنة بيانا ضافيا شافيا وافيا لا يجهله في العادة مؤمن. أما تقييد المباح خوفا من البدعة فهي
البدعة عينها ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: "من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل
بها حتى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها حتى يوم القيامة". أي
أن الإجتهاادات الجديدة إما سنن حسنة يجدر الأخذ بها أو سنن سيئة يجدر تجنبها وتلك هي
البدع المنكورة. ألم تر كيف أن الإسلام يتوسط بين الأمرين فلا ينكر كل جديد محدث بل
يرغب فيه ولا يرضى بأن تستبدل تشريعاته بأخرى من عند الناس إحداثا أو تعديلا أو تبديلا أو
تغييرا أو تعطيلًا. أغلب الناس اليوم يلزمون الخط المحافظ أي الذي يتوجس من السنة الحسنة
وكل جديد محدث وبذا تكون عندهم بذلك المقياس أكثر التجديدات بدعا منكورة.

11 - الفقه مقدم على العمل والفهم مقدم على السلوك. تلك قاعدة من أجل قواعد التدين. ولذلك
قال عليه الصلاة والسلام للسائل: "قل أمنت بالله ثم إستقم". ولم يقل له: "إستقم ثم قل أمنت
بالله". أمنت بالله معناها: إفهم وأفقه لأن الإيمان فقه وفهم وبناء موقف فكري من الحياة
والألوهية والموت والبعث والإنسان والدين. ألم تر إلى غضبه الشديد جدا على بعض من
صحابته الكرام الذين أفتوا أميرهم بجهل بالإغتسال لجراحة أصابته أو جنابة؟ ألم تر أنه قال
عنهم قولا لم يقله عن أحد أبدا تقريبا؟ ألم يقل عنهم: "قتلوه قتلهم الله". هل هم قتلوه؟ طبعا
لا. هم لم يقتلوه. هم أفتوه بحسن نية فمات الرجل. نسب إليهم القتل رغم أنهم لم يقتلوه ولكن
قتلوه بجهلهم. ثم قال عنهم داعيا عليهم: "قتلهم الله". من لم يردعه هذا الحديث الصحيح عن
تقديم الفقه عن العمل والفهم عن السلوك فلا رادع له حتى يوم الدين. كيف تتقرب إليه سبحانه
بجارتك ولا تتقرب إليه بعقلك وقلبك؟ ألا تعلم أن أجر القلب أعظم من أجر الجراحة أم لا
تعلم أن "خيركم من تعلم القرآن وعلمه". و أن "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين".

تلك بعض قواعد في التدين عامة لا صلة لها بالصيام فحسب.

إذا جمعت تلك القواعد العامة مع ما أنف ذكره منها إجمالا في مقدمة هذا الكراس بنيت لك من
فقه التدين قمطرا سميكا جديرا بألا تأكله دابة الجهل وأرضة الأمية.

الحقل الأول : فضل الصوم ومنزلته.

1 – أخرج الشيخان عن أبي هريرة عليه الرضوان أنه عليه الصلاة والسلام قال : « قال الله عز و جل : كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به. والصيام جنة فإذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فيلقل : إني صائم. والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه». وفي رواية البخاري : « يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي. الصيام لي وأنا أجزي به».

2 – أخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري عليه الرضوان أنه عليه الصلاة والسلام قال : « ما من عبد يصوم يوما في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا».

3 – أخرج الشيخان عن أبي هريرة عليه الرضوان أنه عليه الصلاة والسلام قال : « إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين».

4 – أخرج الشيخان عن أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال : « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا إجتبت الكبائر».

5 – أخرج الشيخان عن ابن مسعود وعن الأعمش أنه عليه الصلاة والسلام قال : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه لو وجاء « (أخرجه البخاري عن ابن مسعود ومسلم عن الأعمش).

6 – أخرج الشيخان عن أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال : « من صام رمضان إيمانا وإحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه».

7 – أخرج الشيخان عن أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال : « من قام رمضان إيمانا وإحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه».

8 – أخرج الشيخان عن أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال : « من قام ليلة القدر إيمانا وإحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه».

9 – أخرج الشيخان عن ابن عمر أن رجلا من أصحابه عليه الصلاة والسلام أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر. فقال عليه الصلاة والسلام : « أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر».

10 – أخرج الشيخان عن الأم الكريمة العظيمة عائشة عليها الرضوان أنها قالت : كان عليه الصلاة والسلام يجاور في العشر الأواخر من رمضان ويقول : « تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان ».

11 – أخرج الشيخان عن الأم العظيمة الكريمة عائشة قالت : إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا صلى الله عليه وسلم الليل كله وأيقظ أهله وجد وشد المنزر.

12 – أخرج الشيخان عن سهل ابن سعد أنه عليه الصلاة والسلام قال : « إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم. يقال : أين الصائمون فيقومون لا يدخل أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد ».

13 – أخرج البخاري عن الأم العظيمة الكريمة عائشة عليها الرضوان أنه عليه الصلاة والسلام قال : « تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان ».

14 – أخرج مسلم عن الأم العظيمة الكريمة عائشة عليها الرضوان أنها قالت : كان يجتهد صلى الله عليه وسلم في رمضان ما لا يجتهد في غيره وفي العشر الأواخر منه ما لا يجتهد في غيرها.

15 – أخرج الإمام مالك – فيما نقله الزهري عنه – أنه بلغه أنه عليه الصلاة والسلام أرى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله له من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من العمل الذي بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خيرا من ألف شهر.

16 – أخرج الترمذي عن أم عمار الأنصارية أنه دخل عليها – عليه الصلاة والسلام – فقدمت إليه طعاما. فقال : كلي. فقالت : إني صائمة. فقال : « إن الصائم تصلي عليه الملائكة إذا أكل عنده حتى يفرغوا ». أو قال : « حتى يشبعوا ». رواه وحسنه.

17 – أخرج الترمذي عن معاذ ابن جبل أنه قال : قلت يا رسول الله أخبرني عن عمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار. قال : لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير لمن يسره الله له : تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. ثم قال : هل أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل في جوف الليل. ثم تلا قوله : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع .. حتى بلغ قوله : يعملون ». ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قال : رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد. ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ فأخذ بلسانه وقال : كف عليك هذا. قلت : وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به يا نبي الله؟ قال : ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ».

18 – أخرج الترمذي عن الحارث الأشعري قال : قال عليه الصلاة والسلام : **» أمر الله تعالى يحيى بخمس فجمع الناس في بيت المقدس وأمرهم بها : أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً فإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل إشتري عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق وقال :** هذه داري وهذا عملي فاعمل وأد إلي فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده فأيكّم يرضى أن يكون عبده كذلك. **وإن الله أمركم بالصلاة وأمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة مسك وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. وأمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يديه إلى عنقه وقيدوه وقدموه ليضربوا عنقه فقال :** أنا أفدي نفسي بالقليل والكثير ففدى نفسه منهم. **وأمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في إثره سراحاً حتى أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم وكذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى. ثم قال عليه الصلاة والسلام :** وأنا أمركم بخمس : السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة فإن من فارق الجماعة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه. فقال رجل : **وإن صلى وقام. فقال عليه الصلاة والسلام :** وإن صلى وقام”.

19 – أخرج الترمذي وأحمد وابن ماجه وابن خزيمة عن أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال : **” ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حين يفطر والإمام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب : وعزتي وجلالي لأنصرك ولو بعد حين”.**

20 – أخرج الترمذي وأحمد عن أبي أمامة أنه عليه الصلاة والسلام قال : **» عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً. فقلت : لا يا رب. ولكني أشبع يوماً وأجوع يوماً فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت حمدتك وشكرتك”.**

21 – أخرج الإمام أحمد والطبراني والحاكم عن ابن عمر أنه عليه الصلاة والسلام قال : **» الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة. يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه. ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعني فيه. قال : فيشفعان”.**

22 – أخرج الإمام أحمد عن وائلة ابن الأسقع أنه عليه الصلاة والسلام قال : **» أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان والإنجيل لثلاث عشر خلت من رمضان وأنزل الله القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان”.**

23 – أخرج أبو داود عن أنس أنه عليه الصلاة والسلام جاء إلى سعد ابن عباد فجاء بخبز وزيت فأكل ثم قال عليه الصلاة والسلام : **» أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة”.**

24 – أخرج ابن ماجه عن أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال : **” لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم والصوم نصف الصبر”.**

25 – أخرج الحاكم عن كعب ابن جعرة أنه عليه الصلاة والسلام قال : “ أحضروا المنبر ” فحضرنا. فلما إرتقى درجة قال : آمين. فلما إرتقى الدرجة الثانية قال : آمين. فلما إرتقى الدرجة الثالثة قال : آمين. فلما نزل قلنا : يا رسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئاً ما كنا نسمعه. قال : إن جبريل عليه السلام عرض لي فقال : بعد من أدرك رمضان فلم يغفر له فقلت : آمين. فلما رقيت الثانية قال : بعد من ذكرت عنده ولم يصل عليك. فقلت : آمين. فلما رقيت الثالثة قال : بعد من أدرك أبويه الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخله الجنة فقلت : آمين.”

26 – أخرج النسائي وابن خزيمة عن أبي أمامة قال : قلت يا رسول الله مرني بعمل. قال : عليك بالصوم فإنه لا عدل له. قلت : يا رسول الله مرني بعمل. قال : عليك بالصوم فإنه لا عدل له. قلت : يا رسول الله مرني بعمل. قال : عليك بالصوم فإنه لا مثل له.

الحقل الثاني : الصوم فقها ويسرا

27 – أخرج الشيخان عن أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال : “ لا يتقدم أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين إلا أن يكون رجلاً كان يصوم صومه فليصم ذلك اليوم.”

28 – أخرج الترمذي عن أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال : “ إذا بقي نصف من شعبان فلا تصوموا.”

29 – أخرج الترمذي وأبو داود عن عمار ابن ياسر أنه عليه الصلاة والسلام قال : “ من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم.”

30 – أخرج الشيخان عن الأم العظيمة الكريمة عائشة أنها قالت : كان عليه الصلاة والسلام يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم.”

31 – أخرج الشيخان عن الأم العظيمة الكريمة عائشة أنها قالت : كان عليه الصلاة والسلام يصبح جنباً من غير حلم ثم يصوم.”

32 – أخرج الشيخان عن الأم العظيمة الكريمة عائشة أنها قالت : كان عليه الصلاة والسلام يقبل بعض أزواجه وهو صائم ثم ضحكت.”

33 – أخرج الشيخان عن الأم الكريمة العظيمة عائشة أنها قالت : كان عليه الصلاة والسلام يقبل ويباشر وهو صائم وكان أملككم لإربه.”

34 – أخرج ابن حبان عن ابن الخطاب قال : قلت يا رسول الله هلكت. قبلت وأنا صائم.

فقال عليه الصلاة والسلام : „ أرأيت لو تمضمت؟“.

35 – أخرج البخاري عن ابن عباس أنه قال أنه عليه الصلاة والسلام إحتجم وهو محرم وإحتجم وهو صائم“.

36 – أخرج أصحاب السنن وإبن حبان والدارقطني والحاكم عن أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال : “ من ذرعه القيئ وهو صائم فلا قضاء عليه و من إستقاء فليقض”.

37 – أخرج أبو داود عن أنس أنه قال : كان عليه الصلاة والسلام يكتحل وهو صائم.

38 – أخرج الترمذي والبخاري عن ابن عباس أنه عليه الصلاة والسلام قال : „ ثلاثة لا يفطرن الصائم : القيئ والحجامة والإحتلام”.

39 – أخرج أحمد وأبو داود أن رجلا من أصحابه قال : “ رأيت النبي عليه الصلاة والسلام يسكب الماء على رأسه بالسقيا إما من الحر وإما من العطش وهو صائم ثم لم يزل صائما حتى أتى كديدا ثم دعا بماء وأفطر الناس وهو عام الفتح “.

40 – أخرج أحمد والطبراني عن ابن عمر قال : كنا عند النبي عليه الصلاة والسلام فجاء شاب فقال يا رسول الله : أقبل وأنا صائم؟ قال : لا. ثم جاء شيخ فقال : أقبل وأنا صائم؟ قال : نعم. فنظر بعضنا إلى بعض فقال رسول الله : قد علمت لم نظر بعضكم إلى بعض. إن الشيخ يملك نفسه”.

41 – أخرج أبو يعلى أنه عليه الصلاة والسلام قال : “ إن الفطر مما دخل وليس مما خرج”.

42 – أخرج الشيخان عن ابن عمر أنه قال : نهى عليه الصلاة والسلام عن الوصال. قالوا : إنك تواصل. قال : „ إني لست مثلكم إني أطعم وأسقى”.

43 – أخرج الشيخان عن أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال : „ إذا نسي أحدكم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه”.

44 – أخرج الدارقطني وإبن خزيمة وإبن حبان والحاكم عن أبي هريرة وإبن عباس وأبي ذر أنه عليه الصلاة والسلام قال : „ من أفطر يوما من رمضان ناسيا فلا قضاء عليه ولا كفارة”.

45 – أخرج الشيخان عن جابر إبن عبد الله أنه عليه الصلاة والسلام قال : „ ليس من البر الصوم في السفر”.

46 – أخرج الشيخان عن أنس أنه قال : « كنا معه عليه الصلاة والسلام أكثرنا ظلاً الذي يستظل بكسائه وأما الذين صاموا فلم يعملوا شيئاً وأما الذين أفطروا فبعثوا الركاب وإمتهنوا وعالجوا. فقال عليه الصلاة والسلام : « ذهب المفطرون اليوم بالأجر ».

47 – أخرج الشيخان عن أنس أنه قال : كنا نسافر معه عليه الصلاة والسلام فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم ».

48 – أخرج الشيخان عن أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال : « السفر قطعة من العذاب يمنع أحدهم طعامه وشرابه ونومه فإذا قضى أحدكم نهمته من سفره فليعجل إلى أهله ».

49 – أخرج أحمد وأبو داود وابن خزيمة وابن حبان والحاكم والدارقطني عن علي وعمر أنه عليه الصلاة والسلام قال : « رفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ وعن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم ».

50 – أخرج النسائي وابن ماجه أنه عليه الصلاة والسلام قال : « إن الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة وعن الحامل والمرضع الصوم ».

51 – أخرج أحمد والبخاري والطبراني وابن خزيمة وابن حبان عن ابن عمر أنه عليه الصلاة والسلام قال : « إن الله تبارك وتعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته ».

52 – أخرج أبو داود عن مجيبة الباهلية عن أبيها وعمها أنه أتى رسول الله عليه الصلاة والسلام ثم إنطلق فأتاه بعد سنة وقد تغيرت حاله وهيئته. فقال : يا رسول الله أما تعرفني؟ قال: ومن أنت؟ قال : أنا الباهلي الذي جئتكم عام الأول. قال : فما غيرك وقد كنت حسن الهيئة؟ قال: ما أكلت طعاماً منذ فارقتك إلا لبيل. فقال عليه الصلاة والسلام : « عذبت نفسك ». ثم قال: صم شهر الصبر ويوماً من كل شهر. قال زدني فإن بي قوة. قال : صم يومين. قال : زدني. قال : صم ثلاثة أيام. قال : زدني. قال : صم من الحرم وإترك. صم من الحرم وإترك. صم من الحرم وإترك. وقال بأصابعه الثلاث فضمها ثم أرسلها.

53 – أخرج الشيخان عن أنس أنه عليه الصلاة والسلام قال : « تسحروا فإن في السحور بركة ».

54 – أخرج الشيخان عن ابن عمر قال: كان له عليه الصلاة والسلام مؤذنان : بلال وابن أم مكتوم. فقال عليه الصلاة والسلام : « إن بلالاً يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن لكم ابن أم مكتوم. قال : ولم يكن بينهما إلا أن ينزل هذا ويرقى هذا ».

55 – أخرج مسلم عن عمرو بن العاص أنه عليه الصلاة والسلام قال : « فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر ».

56 – أخرج الشيخان عن سهل ابن سعد أنه عليه الصلاة والسلام قال : “ لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر ”.

57 – أخرج الشيخان عن ابن الخطاب أنه عليه الصلاة والسلام قال : “ إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم ”.

58 – أخرج الشيخان عن ابن أبي أوفى قال : سرنا معه عليه الصلاة والسلام وهو صائم فلما غربت الشمس قال لبعض القوم : يا فلان أنزل فاجدح لنا. فقال : يا رسول الله لو أمسيت. قال : إنزل فاجدح لنا. قال : إن عليك نهارا. قال : إنزل فاجدح لنا. قال : فنزل فجدح فشرب عليه الصلاة والسلام ثم قال : إذا رأيتم الليل قد أقبل من ههنا فقد أفطر الصائم وأشار بيده قبل المشرق.

59 – أخرج الحاكم عن أبي هريرة على شرط مسلم أنه عليه الصلاة والسلام قال : “ إذا سمع أحدكم النداء والإناء على يده فلا يضعه حتى يقضي حاجته منه ”.

60 – أخرج مسلم عن الأم العظيمة الكريمة عائشة أنه عليه الصلاة والسلام كان يدخل على بعض أزواجه فيقول : هل من غداء؟ فإن قالوا : لا. قال : فإني صائم.

61 – أخرج الترمذي عن عامر الضبي أنه عليه الصلاة والسلام قال : “ إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإن لم يجد فليفطر على ماء فإنه طهور ”.

62 – أخرج مسلم عن معاذة العدوية أنها سألت عائشة : أكان عليه الصلاة والسلام يصوم من كل شهر ثلاثة أيام؟ قالت : نعم. فقلت : من أي الشهر كان يصوم؟ قالت : لم يكن يبالي من أي الشهر يصوم.

63 – أخرج الطبراني أنه عليه الصلاة والسلام قال : “ من نزل بقوم فلا يصوم من إلا بإذنهم ”.

64 – أخرج الشيخان وأحمد عن أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال : “ لا تصم المرأة يوما واحدا وزوجها شاهد إلا بإذنه إلا رمضان ”.

65 – أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال : أتى رجل النبي عليه الصلاة والسلام فقال : هلكت. قال : وما شأنك؟ قال : وقعت على امرأتي في رمضان. قال : هل تجد ما تعتق به رغبة؟ قال : لا. قال : هل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال : لا. قال : هل تستطيع أن تطعم ستين مسكينا؟ قال : لا. قال : إجلس. فأتى عليه الصلاة والسلام بعذق فيه تمر. فقال : تصدق به. قال : ما بين لابتيها أهل بيت أفقر منا. فضحك عليه الصلاة والسلام حتى بدت ثنياه وقال : أطعمه إياهم.

66 – أخرج الشيخان عن الأم العظيمة الكريمة ميمونة عليها الرضوان أن الناس شكوا في صومه عليه الصلاة والسلام يوم عرفة فأرسلت إليه بحلاب وهو واقف في الموقف فشرب منه والناس ينظرون.

67 – أخرج الشيخان عن ابن الخطاب أنه قال : هذان يومان نهى عليه الصلاة والسلام عن صيامهما : يوم فطرکم من صيامکم واليوم الآخر الذي تأكلون فيه من نسککم.

68 – أخرج الشيخان عن جابر أنه قال : نهى عليه الصلاة والسلام عن صوم يوم الجمعة.

69 – أخرج الشيخان عن الأم العظيمة الكريمة عائشة أنها قالت : كان يكون علي الصيام من رمضان فما أستطيع أن أقضي إلا في شعبان.

70 – أخرج الشيخان عن الأم العظيمة الكريمة عائشة أنه عليه الصلاة والسلام قال : „ من مات وعليه صوم صام عنه وليه“.

71 – أخرج الشيخان عن ابن عباس أن رجلا جاء إليه عليه الصلاة والسلام وقال : إن أمي ماتت وعليها صوم شهر. أفأقضيه عنها؟ قال : نعم. دين الله أحق أن يقضى“.

72 – أخرج الشيخان عن ابن عمر أنه عليه الصلاة والسلام قال له : „ فصم يوما وأفطر يوما فذلك صيام داود عليه السلام وهو أفضل الصيام“ . فقال : إني أطيق أفضل من ذلك. قال : „ لا أفضل من ذلك“.

73 – أخرج الشيخان عن ابن عمر أنه عليه الصلاة والسلام قال: “ لا صام من صام الأبدي. لا صام من صام الأبدي“.

74 – أخرج الشيخان عن عدي ابن حاتم قال : لما نزلت : “ حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر “ عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي فغدوت عليه عليه الصلاة والسلام فذكرت له ذلك فقال : إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار.

75 – أخرج الشيخان عن الأم العظيمة الكريمة عائشة أنه عليه الصلاة والسلام خرج ذات ليلة من رمضان من جوف الليل فصلى في المسجد فصلى رجال بصلاته فأصبح الناس فتحدثوا فاجتمع أكثر منهم فصلوا فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة فخرج عليه الصلاة والسلام فصلوا بصلاته فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال : أما بعد فإنه لم يخف علي مكانكم لكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها.

76 – أخرج الشيخان عن أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال : “ من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة : يا عبد الله هذا خير. فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصيام دعي من باب

الريان ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة. قال أبوبكر : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال : نعم وأرجو أن تكون منهم.

الحقل الثالث : خلق وعبادة

77 – أخرج الشيخان عن أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال : ” إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل : إني صائم “.

78 – أخرج الشيخان عن أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال : ” من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه “.

79 – أخرج أحمد عن عبيد مولاة عليه الصلاة والسلام أن إمرأتين صامتا وأن رجلا قال : يا رسول الله إن ههنا إمرأتين قد صامتا وأنها كادت أن تموتا من العطش فأعرض عنه أو سكت. ثم عاد وأراه وقال : بالهجرة. قال : يا نبي الله إنهما والله قد ماتتا أو كادت أن تموتا. قال : أدعهما. قال : فجاءتا. قال : فجئى بقدر أو عس فقال لإحدهما : قئى. فقاعت قيحا ودما وصديدا ولحما حتى ملأت نصف القدر ثم قال للأخرى قئى فقاعت من قيح ودم وصديد ولحم عبيط وغيره حتى ملأت القدر. ثم قال : إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا عما حرم الله عليهما. جلست إحدهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان من لحوم الناس.

80 – أخرج مسلم ومالك وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة أنه قيل له : يا رسول الله إنك تصوم الإثنين والخميس. فقال : ” إن يوم الإثنين والخميس يغفر الله فيهما لكل مسلم إلا مهتجرين. يقول : دعهما حتى يسطلحا “.

81 – أخرج أبو داود وابن ماجة عن أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال : ” صومكم يوم تصومون وفطركم يوم تفطرون “.

82 – أخرج الترمذي أنه عليه الصلاة والسلام قال : ” ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا : بلى. قال : إصلاح ذات البين فإن ذات البين هي الحالقة “.

83 – أخرج الطبراني والحاكم والبيهقي عن ابن عباس أنه كان معتكفا في مسجد النبي عليه الصلاة والسلام فأتاه رجل فسلم عليه وجلس فقال له ابن عباس : يا فلان : إني أراك مكتئبا حزينا؟ قال : نعم يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. لفلان علي حق ولأء وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه. قال ابن عباس : أفلا أكلمه فيك. قال : إن أحببت. قال : فانتعل ابن عباس ثم خرج من المسجد. فقال له الرجل : أنسيت ما كنت فيه؟ قال : لا. قال : ولكني سمعت صاحب هذا القبر والعهد به قريب فدمعت عيناه وهو يقول : من مشى في حاجة أخيه

وبلغ فيها خيرا له من إعتكاف عشر سنين ومن إعتكف يوما إبتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق أبعد مما بين الخافقين.

84 – أخرج الترمذي عن زيد الجهني أنه عليه الصلاة والسلام قال : „ من فطر صائما كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء.”

85 – أخرج الشيخان عن ابن عباس قال : كان عليه الصلاة والسلام أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله عليه الصلاة والسلام حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة.

86 – أخرج مسلم ومالك والنسائي عن ابن عمر أنه عليه الصلاة والسلام فرض زكاة الفطر من رمضان على كل نفس من المسلمين حر أو عبد أو رجل أو امرأة صغير أو كبير صاعا من تمر أو صاعا من شعير.

87 – أخرج أبو داود وابن ماجه والحاكم على شرط البخاري عن ابن عباس أنه عليه الصلاة والسلام فرض صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقة.

88 – أخرج الطيالسي عن ابن عمر أنه عليه الصلاة والسلام قال : „ من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من المكثرين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين.”

89 – أخرج الشيخان عن أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال : “ ينزل ربنا سبحانه في كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول : هل من داع فاستجب له وهل من سائل فأعطيه وهل من مستغفر فأغفر له.”

90 – أخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري أن أسيدا ابن حضير بينما هو في ليلة يقرأ القرآن الكريم في مربدته إذ جالت فرسه فقرأ ثم جالت فقراً ثم جالت أخرى أيضا. قال أسيد : فخشيت أن تطأ يحيى فقممت إليها فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها. قال فغدوت إليه عليه الصلاة والسلام وذكرت له ذلك فقال : „ إقرأ ابن حضير.” قال : فقرأت ثم جالت أيضا. ثم قال عليه الصلاة والسلام : „ تلك الملائكة تستمع لك ولو قرأت لأصبت يراها الناس ما تستتر منهم.”

91 – أخرج أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم والبيهقي عن أبي الدرداء أنه عليه الصلاة والسلام قال : „ ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم وخير من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالو: بلى. قال : ذكر الله.”

92 – أخرج الشيخان عن ابن عمر أنه عليه الصلاة والسلام كان يعتكف العشر الأواخر

من رمضان.

93 – أخرج الشيخان عن الأم الكريمة العظيمة عائشة أنه عليه الصلاة والسلام كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى ثم إعتكف أزواجه من بعده.

94 – أخرج البخاري عن أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام كان يعتكف في كل رمضان عشرة أيام فلما كان العام الذي قبض فيه إعتكف عشرين يوماً.

95 – أخرج أبو داود والدارقطني والحاكم على شرط البخاري عن ابن عمر أنه عليه الصلاة والسلام كان يقول عند فطره : ” ذهب الظمأ وإبتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله.”.

الحقل الرابع : أولى الأيام بالصيام.

96 – أخرج الشيخان عن الأم العظيمة الكريمة عائشة أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يصوم من شهر أكثر من شعبان فإنه كان يصوم شعبان كله.”.

97 – أخرج الشيخان عن ابن عباس أنه عليه الصلاة والسلام صام يوم عاشوراء وأمر بصيامه. وأخرج مسلم عن أبي قتادة أنه سئل عن صيام عاشوراء فقال : ” يكفر السنة الماضية.” وأخرج مسلم عن ابن عباس أنه عليه الصلاة والسلام قال : ” لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع.”.

98 – أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال : أوصاني خليلي بثلاث : صيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى وأن أوتر قبل أن أنام.

99 – أخرج الشيخان عن عبد الله ابن عمرو ابن العاص أنه عليه الصلاة والسلام قال : صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله.

100 – أخرج البخاري عن ابن عباس أنه عليه الصلاة والسلام قال : ” ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام. (يعني أيام العشر). قالوا : يا رسول الله : ولا الجاهد في سبيل الله؟ قال : ” ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء.”.

101 – أخرج مسلم عن أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال : ” أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل.”.

102 – أخرج مسلم عن أبي قتادة أنه عليه الصلاة والسلام لما سئل عن صوم يوم عرفة قال : ” يكفر السنة الماضية والباقية.”.

103 – أخرج مسلم عن أبي أيوب أنه عليه الصلاة والسلام قال : ” من صام رمضان ثم

أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر”.

104 – أخرج مسلم عن أبي قتادة أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن صوم يوم الإثنين فقال : “ ذلك يوم ولدت فيه ويوم بعثت – أو أنزل علي فيه – ”.

الحقل الخامس : بم يثبت الشهر؟

105 – أخرج الشيخان عن أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال : „ صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غبي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين”.

106 – أخرج الشيخان عن ابن عمر أنه عليه الصلاة والسلام قال : „ لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فاقدوروا له”.

كلمات أختم بها الكراس.

كلمات في فضل الصوم ومنزلته.

1 – من يستقرئ الإسلام من نصوصه الناطقة بإسمه (القرآن والسنة) لا يعييه أن يكتشف بيسر أن الصوم حظي بما لم تحظ به عبادة أخرى إلا قليلا جدا ضمن دائرة التكامل التي تصنعها العبادات متكافلة لتسكب على كل عبادة لونها المناسب ويستحيل العابد حقلا عابدا متعدد الألوان. من ذلك أن الصوم عد :

أ – عبادة خالصة مجتابة إليه وحده سبحانه (إلا الصوم فإنه لي) وليس ذلك سوى لأن الصوم مدرسة الإخلاص العظمى. لك أن تقول بحق وصدق وعدل : أنا صائم أنا إذن مخلص. إذ لا يتسلل الرياء إلى عبادة الصوم بينما يتسلل إلى عبادات أخرى. إذا كان الإخلاص هو المطلوب الأول من العابد وكان الصوم هو مصنع ذلك الإخلاص الذي لا يعتوره غش ولا تزيف فإن عبادة الصوم تغدو بحق مصطفاة إليه وحده سبحانه.

ب – الصوم جنة. جنة تقي الصائم العذاب في الآخرة بمثل ما تقيه عذاب الرياء في الدنيا بل بمثل ما تقيه أمراضا بدنية في عاجلته. الصوم جنة يحتمي بها صاحبها بمثل ما يحتمي المقاوم خلف درعه.

ج - الصوم وجاء. الوجاء هو الجنة. الوجاء يحتمي به الناكح الذي لا يجد عفافا بما يصل قلبه بالله سبحانه أن ينشد إلى أحوال الغريزة وهو وجاء يساهم في تجفيف منابع الغريزة. لكن المطلوب في الإسلام أن يكون ذلك الوجاء مؤقتا وليس مؤبدا إذ من حق الغريزة أن تلبى لقوله عليه الصلاة والسلام : ” من رغب عن سنتي فليس مني “. والنكاح من سنته. أرأيت كيف أن حرف الجيم هو قلب الوقاية : يحتل قلب (الجنة) بمثل ما يحتل قلب (الوجاء). يقول أهل الترتيل أن حرف الجيم مبناه التعطيش وهو بذلك العطش يساهم في سد جنة المقاوم بمثل ما يساهم في سد وجاء الناكح الذي لا يجد العفاف.

د - الصوم زكاة الجسم. لا بد لكل مخلوق أن يؤدي ضريبة معلومة. ضريبة العلم إنفاقه وضريبة النصر حماية المستضعفين وضريبة العلو عاقبة الإذلال. لكل شيء ضريبة. ضريبة الجسم أن يؤدي من نفسه بالصوم الذي هو جوع وعطش ونصب. بغير ذلك لا تستقيم الأمور. بل دون تلك الضريبة لا يأخذ الجسم بأسباب القوة والعافية.

هـ - الصوم صرة مسك. مثل الإسلام الصائم بين غير الصائمين بمثل رجل يحمل صرة مسك يضوع ريحها بينهم لتغشى المكان بالطيب وهل أطيب من المسك؟ هو مسك يكنى به على حسن خلق الصائم وإلا فإنه في الحقيقة لا يضوع منه أي ريح. كأن المرء كائن قابل للتعفن ولا بد له من الصيام الذي يغشاه بالريح الطيب. الذي لا يصوم هو كائن عفن أفن قذر.

و - الصوم نصف الصبر. الحياة في الإسلام كما جاء في الوحي هي : طهور وصبر. عدل ذلك هو قوله عليه الصلاة والسلام: ” الطهور شطر الإيمان ” وقوله في موضع آخر : ” الصبر شطر الإيمان “. أي أن الإيمان بناء نصفه طهور ونصفه الآخر صبر. والصبر شطره صوم. فمن صام فقد حاز ربع الإيمان ونصف الصبر ومن بلغ الربع من الشيء فقد أوشك أن يتمه. كون الصوم نصف الصبر أمر معلوم بسبب أن من أكبر مقاصد الصوم أنه يربي عزيمة الصبر في الصائم لقوله سبحانه في الحديث القدسي : ” يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي “.

ز - الصوم شفيع. شفيعان كبيران منصوص عليهما بالنص : القرآن والصيام. شرف آخر يضاف إلى الصيام المجتنبى منه سبحانه. القرآن غذاء العقول والنفوس والأرواح والصوم هو غذاء الأبدان والأرواح والنفوس كما يساهم في تجلية العقول أن تكل وتعبي لفرط تخمة الأبدان. ألا يحتاج المرء إلى محام أو وكيل عنه بين يدي المحكمة العليا الأخيرة التي يصدر فيها القرار الذي لا معقب عليه : فريق في الجنة وفريق في السعير؟ إذا كان ذلك فإن الصيام شفيع.

ح - الصوم مكفر للذنوب. كذلك بني الإسلام على أساس أن تكون تشريعاته وعباداته محطات في الزمان والمكان إما للتزود من التقوى إكسير الحياة أو للتطهر من الذنوب والآثام والمعاصي التي رانت على القلوب حتى صدأت كما تصدأ المعادن التي تحتاج إلى فتنة النار لجلائها. من تلك المحطات : محطة الصيام وهي مفروضة مرة كل عام ولكنها متاحة كل يوم. محطات يومية هي الصلوات الخمس ومحطة أسبوعية هي صلاة الجمعة ومحطة سنوية هي رمضان المعظم ومحطة عمرية هي الحج أو العمرة أو كلاهما. أي أن الإسلام بتشريعاته وعباداته رحمة مهداة كمن يدخل الحمام ويصبر على حماته ليتطهر من درنه.

ط – مكرمة الصائم أن دعوته لا ترد. أي مكرمة تلك التي أهديت للصائم. دعوته حين يفطر لا ترد. أليس أليق بنا أن ننشئ تلك الفرصة مع مغيب كل شمس لو كنا نعقل؟ فما بالك بمن يجمع كل أسباب قبول الدعوة بأن يكون صائماً ويكون مظلوماً ويكون ساجداً ويكون مسافراً. أنشئ ذلك في حياتك ولو مرة واحدة : كن مسافراً صائماً ساجداً حين يفطر فإذا كنت مظلوماً فيها ونعمت ولكن لا تبحث أن تكون مظلوماً.. كن كذلك وأدع ربك سبحانه.

ي – مكرمة رمضان تصفيد الشياطين. أي مكرمة حازها رمضان دون غيره حتى من الأشهر الحرم الأربعة وهو ليس منها. ذلك ما يرجح عندي أنه أفضلها. من بركات رمضان حملة إعتقالات واسعة ضد الأبالسة والشياطين ليتاح الجو مهيباً لفعل الخير دون معوق. ليس هو كذلك سوى لأنه شهر القرآن الذي أنزل فيه. القرآن والشيطان لا يلتقيان لا في زمان ولا في مكان. لا يلتقيان في المكان لقوله عليه الصلاة والسلام: "البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان". ولا يلتقيان في الزمان لقوله : " إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين ". كيف يعصي الناس ربهم إذن؟ لأن النفس أمارة بالسوء أما كيد الشيطان فهو ضعيف.

ك – إنما جعل باب الريان في الجنة ليكون الجزاء من جنس العمل. الريان من الري وهو الإرتواء من الماء. ليس صدفة ولا عبثاً أن يسمى باب الصائمين رياناً ولكن ليكون الجزاء من جنس العمل وهي قاعدة شيد عليها الكون والخلق والإجتماع. للصائم الذي عطش فصبر جزاء إسمه الريان مبالغة في الري والإرتواء. كما هو الحال في عذاب النار أي الجحيم في مقابل النعيم الذي يتقلب فيه الكفار بغير حق أو بغير شكر وحمد.

ل – شهر يوفر لك أسباب المغفرة بكل الطرق. من صامه غفر له ما تقدم ومن قامه غفر له ما تقدم ومن قام ليلة القدر فيه غفر له ما تقدم. ثلاثة أسباب كل واحد منها كفيل بالمغفرة فما رأيك لو جمعتها إليك في شهر واحد فكنت صائماً يومه كله وقائماً ليله كله أي كل ليلته وليس كل ساعات الليل فيه؟ بل إنه شهر قال فيه خير الصائمين : " بعد من أدرك رمضان ولم يغفر له ". أي خاب وتعس هذا التاجر الذي يفد على أكبر صفقة تجارية بين يديه كأنما سيقَّت إليه ليسجل أرباحاً ليس لها حساب ولا نظير ثم يخسر الصفقة ويرجع بخفي حنين بل حافي القدم أصلاً لا خف ولا خفان.

م – عبادة لا عدل لها. ظل عليه الصلاة والسلام يكرر العبارة ذاتها (لا عدل له) بين يدي الصحابي الذي يسأله عملاً يقربه من ربه. عليك بالصوم فإنه لا عدل له. ولو كرر السائل سؤاله ألف مرة لظل عليه الصلاة والسلام ثابتاً على جوابه الأول : لا عدل له. وأي عبادة تعدل الصوم الذي هو : مجتنبى إليه وحده و هو جنة وهو وجاء وهو مدرسة الإخلاص وهو مدرسة الصبر وهو مناسبة لإعتقال الشياطين وهو مكفر ماحق للذنوب ساحق للآثام وهو شفيع ومحام وكيل وهو زكاة الجسم وهو صرة مسك وهو موضع إجابة الدعاء. هل تجد ذلك في عبادة أخرى؟ هو سيد العبادات حقاً وهو أمير الطاعات صدقاً وهو قلب القربات فعلاً.

ن – الصوم مفتاح الضراعة ومفتاح الشكر. لكم صدق ربه عليه الصلاة والسلام عندما

أبى أن تبسط له جبال مكة ذهباً وفضة وإختار أن يكون عبداً يجوع يوماً فيكون ذلك مناسبة للتضرع والتواضع والقربى والزلفى والفقر إليه وحده سبحانه ثم يشبع فيكون ذلك مناسبة للشكر والحمد والثناء. أنظر إلى أدب الأنبياء بل إلى فقه أميرهم. لذلك أغدق عليه سبحانه مرات بقوله : ” عبده”. ومن خلع عليه رداء العبودية فقد رفعه إليه رفعة لا رفعة بعدها. ألا ما أشقى الذين لا يصومون فلا يجوعون ولا يتواضعون ولا يفنقرون إلى رب غفور بسط لهم بلدة طيبة. ألا ما أشقى الذين لا يصومون فلا يشعرون بنعمة الشبع من بعد عضات الجوع ولا بنعمة الري من بعد كلحات الظما فلا يحمدون رباً ولا يثنون على إله ولا يشكرون ولي نعمة. لو لم تكن في الإسلام غير هذه المنقبة : منقبة الصوم بجوعه وشبعه وظمئه وريه لكفته. لو لم يتح لنا الإسلام غير الفرحتين اللتين دل عليهما الحديث لكفته : يفرح الصائم بفطره حين فطره ويفرح بصومه حين يلقي ربه. الإسلام فرح متواصل والصوم نعمة متواصلة.

غ – أي جدال فارغ حول ليلة القدر؟. ليلة القدر معينة تمام التعيين. ألا يكفي أنها في خمس ليال فحسب من بين 364 ليلة؟ أليس في العام 364 ليلة؟ أليس قد عينها الحديث الصحيح المتفق عليه في خمس فحسب هي الليالي الوترية من العشر الأواخر من رمضان. وبعد ذلك كله يبقى الجدال الفارغ العقيم حولها يثير السخط والقرق والرتاء. إذا تعينت ليلة واحدة من بين تلك الليالي الخمس فقد بطل التكليف وسقطت الحكمة. هل رأيت معلماً يعين لتلاميذه أسئلة الإمتحان بتفصيلها قبل يوم الإمتحان؟ أليس تسقط الحكمة إذن من الإمتحان؟ عجب عجاب لا ينقطع من جدل فارغ عقيم حول ليلة القدر. كيف تعجز أن تقوم خمس ليال فحسب من بين 364 ليلة كاملة؟ تقوم تلك الليالي ليس معناه ألا تنام. قيام تلك الليالي معناه في الحد الأدنى هو صلاة العشاء والصبح في جماعة. فإذا أضفت إلى ذلك التراويح كنت قائماً وأي قائم. فإذا أضفت إلى ذلك ما تيسر من ركعات قبل طلوع الفجر ولو ركعتين بقدر دقيقتين فقد كنت قائماً وألف ألف قائم. وعلى قدر عزيمتك وما تيسر لك من حظوظ الدنيا تكون قائماً. عندها يمكن إصطفاء الناجحين وانتخاب الفائزين وإجتباء الصادقين أما دون ذلك فعبث معبوث تنزهت عنه شريعة الإسلام.

كلمات في فقه الصوم ومقاصده.

1 – لم نهى عن الصوم في النصف الثاني من شعبان بينما كان يصومه كله؟ أو لا لأن القياس عليه عليه الصلاة والسلام في هذا الأمر – أمر الصيام – قياس فاسد بسبب قوله : ” لست مثلكم إنني أطعم وأسقى”. أي أنه يطعمه ربه ويسقيه في حال الوصال. وثانياً لأن ذلك معلل بمظنة عدم القدرة على مواصلة صوم رمضان فهو يباح فتحة لذريعة الأجر لمن يقدر عليه ويطيعه ولا يباح سداً لذريعة الإجهاد بما يجعل النفل آت على الفرض والفرض أولى دوماً فهو المقدم والمستحب هو المؤخر. فمن أنس في نفسه طيقانا فليصم ولا تثريب عليه ومن لم يأنس في نفسه ذلك فلا يصم والمحكم هنا هو قوله عليه الصلاة والسلام : ” إستفت قلبك ولو أفثاك المفتون”.

2 – لم نهى عن صوم يوم الشك حتى قال : عصى أبا القاسم؟ الأمر هنا مختلف عن

صيام النصف الثاني من شعبان. الأمر هنا أمر تمييز بين فرض مفروض وهو صوم رمضان وبين نفل منقول وهو صوم شعبان. صيام يوم الشك يوهم الناس أن شعبان كذلك مفروض أو أنه يجوز الاعتقاد بأن تقديم الصيام فرض مفروض. لقد إهتم الإسلام كثيرا بالتمييز بين درجات تكليفاته فهو حريص على تسمية الأمور بأسمائها حتى لا يتداخل المستحب في الفرض فيفرض بالعرف والتقليد على الناس وتكون من ذا بدعة أو سنة سيئة على صاحبها وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة وحتى لا يتداخل المؤقت بغير المؤقت. الحيلولة دون ذلك لا يكون بغير طلب العلم. صوم يوم الشك مظنة الغلو في الدين ومظنة تحريم ما أحل الله سبحانه وهو الأمر الذي بسببه لعنت بنو إسرائيل. أمر الصوم أمر مؤقت بالزمان بمثل الصلاة والحج الذي هو مؤقت بالمكان كذلك. المؤقتات والمكيلات والموزونات والمصورات والمحددات بالمكان والهيئات والأقوال والأفعال هي عماد الإسلام وهي المعلوم من الدين بالضرورة وهي الموقوفات التي لا تقبل إجتهاذا ولا تغييرا ولا تحويلا وهي محل الطاعة بالغيب حتى لو لم تعلم الحكمة منها أو العلة والمقصد على وجه التحديد والتفصيل أما على وجه الإجمال فإن المقصد الأسنى منها هو : الطاعة بالغيب التي تنشئ التقوى.

3 – يعلمنا القياس. أجل. يعلمنا عليه الصلاة والسلام القياس وذلك عندما سأل ابن الخطاب عن القبلة في رمضان فقال له : أرأيت لو تمضمضت؟. أجابه بطريقة تساعده على إستخدام الأقيسة ومختلف الصور العقلية الإجتهدية المعروفة عندما يستجد الحادث الجديد ليس لنا فيه من القديم حكم. الإسلام دين معلل مقصد مستصلح قوامه نشدان مصلحة الإنسان في آجله وعاجله. إذا كانت المضمضة لا تفطر الصائم حتى لو تعمدتها في اليوم ألف مرة ومرة لدفع شره الحر ونهم الوطيس عنه فإن القبلة لا تفطر الصائم لأن أبا يعلى روى عنه القاعدة الفقهية التي أخذ بها البخاري ومن قبله ابن عباس : ” الفطر مما يدخل وليس مما يخرج ”. القبلة والمضمضة لا تدخلان شيئا ولا تخرجان شيئا فهما إذن أخرى بالخروج من دائرة التقطير.

4 – بل كان يباشر. كذلك روت الأم العظيمة الكريمة عائشة. كان يباشر ولا يكتفي بالقبلة. يباشر معناها يباشر بيديه وبدنه من زوجه ما تيسر له من مثل العناق والإحتضان والضم وغير ذلك. كل ذلك يقاس على القبلة والمضمضة. إنما أسفي على رهط واحد من الأمة : ذاك الرهط الذي كلما ورد عليه مثل هذا يقول في نفسه : أي نبي هذا الذي لا يعطي للصوم حقه! أنا أتقى منه لأنني لا أباشر ولا أقبل بل لا أتمضمض إلا قبل الصلاة وأفعل ذلك حياء ولو كان بملكي لعذبت نفسي فصليت دون وضوء لأن الماء البارد يخفف عني ألم الحر في الصيام. ذلك رهط يشتد أسفي عليه كثيرا. رهط قد لا يجد الشجاعة الأدبية للتصريح بتلك الزندقة التي تضعه أتقى من سيد الأتقياء عليه الصلاة والسلام ولكنه يجد ذلك في نفسه. رهط أرثي له كثيرا.

5 – يعلمنا فقه الفتوى. إنما ساقط أقداره سبحانه دينك الرجلين إليه في حضرة أصحابه الكرام. يحمل كل واحد منهما السؤال ذاته ولا فرق بينهما سوى في العمر. فذاك شيخ وذاك شاب. أفتى الشيخ بإباحة القبلة في رمضان وبعد هنيهة واحدة قصيرة أفتى الشاب بعدم ذلك. ذلك هو فقه الفتوى عندما تتغير بموجبات تغيرها من زمان ومكان وحال وعرف وموجبات أخرى أجملها بعض فقهاء العصر المقاومين في كتاب خاص بها وأوصلها إلى عشرة موجبات. ليست الفتوى أمرا جامدا تصلح لكل زمان ولكل مكان ولكل بشر ولكل حال ولكل عرف بدعوى أن الدين واحد وأن القرآن واحد وأن السنة واحدة. ذلك كلام الأغرار الذين يتعبدون

بجوارحهم وبعقول صماء وقلوب دهماء. أما كلام طلبة العلم فمبناه التمييز بين حال وحال. ثم يبين لنا عليه الصلاة والسلام إنباء فقه الفتوى الذي هو على : العلة. قال عن الشاب : لا يملك إربه وقال عن الشيخ أنه يملك إربه. إذا كنت تملك إربك فقبل وياشر وإذا كنت لا تملك إربك فلا تقبل ولا تباشر. ليست الشيخوخة هنا ولا نضرة الشباب سوى مناسبات أو محل مناسبات. هي معايير قد تصدق وقد لا تصدق ولكنها مظنة الصدق. قد تلقى الشيخ لا يملك إربه فهو لا يقبل ولا يباشر وقد تجد الشاب يملك إربه فهو يقبل وياشر ولكن ذلك في الناس قليل. تلك هي مهمة المفتي المعاصر ينظر في الحالات حالة حالة فليس عنده مخزن مملوء بالفتاوى يكيل منها للسائلين بالجملة بل هو صيدلاني لا يسند دواء لمرريض حتى يتحصل منه على وصفة من الطبيب. تلك هي حاجة الفقه إلى الحديث وتلك هي حاجة الحديث إلى الفقه. تلك هي المشكلة التي نعاني منها اليوم. تلك هي المشكلة التي لا بد أن تؤسس لها المعاهد والكليات المعاصرة لتخريج المفتين المعاصرين الذين يجمعون النص إلى المقصد ثم إلى الواقع والمآل لتكون الفتوى بلسما شافيا وليس جرحا نازفا.

6 — يعلمنا اليسر. كان يحتجم وهو صائم. ويتبرد بالماء وهو صائم. ويكتحل وهو صائم.

ولك أن تقيس على ذلك ما عن لك أن تقيس مما يجد عليك من جداول الأيام. لعلك ترتبك لعثورك على أحاديث أخرى تصرح بإفطار الحاجم والمحجوم. مهمة الفقيه المعاصر هنا هي : الجمع بين الأحاديث وليس ردها. الجمع هنا يقتضي بأن يؤول التقطير بأن ذلك في العادة — أو في تلك الحادثة التي شهدتها وأفتى بذلك إذا صح ذلك منه لأن الحديث المأخوذ به أقوى سنداً — مجهد للمحجوم وليس للحاجم ذنب سوى أنه أعان على إجهاد أخيه فاستحق الخطية ذاتها. كما يمكن أن يؤول بالنسخ. ولكن التأويل الأول أدعى إلى حسن العقل عنه عليه الصلاة والسلام وأدنى إلى الفقه في الإسلام. لذلك إحتجم وهو صائم لأنه لا يجهد بالإحتجام وكل من لا يجهد الإحتجام يحتجم إذا جدت الحاجة إلى الإحتجام بأمر طبيب أو تجربة. بل ورد الترخيص لذوق الطعام لطاهيه. هي حاجة في بعض البيئات والظروف. كمن يطهو لضيوف مقدرين مبجلين وهو صائم أو يطهو في إمتحان أو نسي هل أملح طعامه أم لا. ذوق الطعام باللسان لا ينفذ إلى الجوف فضلا عن ورود الحاجة إليه بالنسبة للطاهي والأم وغيرهما. وكل حرج هو موضوع بالضرورة. تلك هي فلسفة الإسلام. فلسفة الإسلام أن ينمي الحياة بالعبادة وليس من فلسفته أن يعطل الحياة بالعبادة.

7 — يعلمنا التعامل مع الضرورات والحاجات. لا تسير الحياة على نهج مستقيم لا ضرر فيه. لو كان ذلك كذلك لما وجد قانون الإبتلاء مكانا في الحياة. لذلك علمنا أن من ذرعه القيئ لا قضاء عليه ولا كفارة حتى لو رجع من قيئه شيء إلى جوفه لأنه مغلوب على أمره وهل يتغذى البدن بشيء خرج منه وعاد إليه؟ لو سألت الطبيب لأكد لك أن ذلك لا يغذي البدن فهو لا يفطر إذن. ولو لم تسلم طبيبا فالقاعدة هي : الضرورات تبيح المحظورات. الإسلام ليس نقمة بل هو نعمة وكل أمر خرج من الرحمة إلى النقمة فهو خارج عن دائرة الإسلام كما قرر بذلك بحق أحد أكبر وأفقه أئمة الإسلام ابن القيم عليه رحمة الله سبحانه. بقي أمر من إستقاء. أي من تعمد القيئ. هذا كذلك لا يحكم فيه بالجملة : لا بد من التفصيل والسؤال : لم إستقاء هذا القائي؟ إذا كان قد إستقاء لدفع ضرر أو مغص أو غير ذلك مما يضطر إليه ويحتاج فهو مضطر تجري عليه أحكام الضرورة. أما إذا كان قد إستقاء عبثا فعبثه يعاقب عليه — تأديبا وتربوية وليس نقمة وتكديلا — بقضاء يوم. الكلام عن المستقي الذي رجع من قيئه شيء إلى جوفه أما من لم يكن

منه ذلك فلا شيء عليه سوى أن كثرة الاستثناء تفعل به ما تفعله الحجامة بالمحجوم.

8 — كما يعلمنا الواقعية. يحتلم المرء غريزة مغروزة ويجامع زوجه شهوة أكدها القرآن الكريم لئلا يمسك بتلابيبنا اليوم حفاة العقل وعراة القلب ليحرموا علينا جماع أزواجنا ليلة الصيام. لذلك ورد الأمر في القرآن ذاته حتى لا يبقى قول لقائل نفيا لدواعيات الغلو ونبذا لناشئات التشدد. بل تخبرنا عنه زوجاته أنه يصبح جنبا فيغتسل ويصوم. كم سألك في حياتك سائل : أصبحت مجنبا فهل أعيد صومي؟ ربما يكون ذلك أكثر أسئلة الناس. ولو كلف الواحد منهم نفسه مشقة البحث في أي كتاب للحديث لوجد الأمر مبسوطا ميسرا لا يحتاج لفقه ولا لفقيه. بمثل ذلك وهو يعلمنا الواقعية في التدين يخبرنا أن الناسي لا شيء عليه وأن المكروه لا شيء عليه وأن من غاب عقله لا شيء عليه. ولكنك لن تعدم أشباها للعلماء لا يساوي الواحد منهم عشر معشار قلامة ظفر من طويل علم مبتدئ .. لن تعدم أن تلقى رهطا من أولئك يوجبون على الناس ما لا يجب. يقولون للناسي الذي أفطر في رمضان أو أكره أن يقضي يومه بل ربما أوجب عليه بعضهم كفارة. جرب بنفسك وسل أولئك الرهط الذين يحرمون ما أحل الله جهلا وإمعانا في التشدد والغلو والكذب عليه سبحانه والقول عليه بغير علم. بعضهم يرى أنه لا بد له أن يزين فتاويه بشيء من التشدد لكثرة حرجه من إنباء الإسلام على الإباحة والحلية ومراعاة الواقعية والضرورات والحاجات واليسر. يتحرج من الناس فيجاريهم ولا يتحرج من ربه الذي يقول عليه بغير علم. يريد أن يظل صاحب مكانة بين الناس ولا سبيل له إلى ذلك إلا إذا زين فتاويه بالتحريم والتشديد حتى يظن الناس أنه عالم فطحل. أي صورة يقدمها هؤلاء عن الإسلام؟ ليس على الناسي شيء في المتفق عليه بين البخاري ومسلم وفي فتاوى سيد الخلق ورجاله الفقهاء من مثل ابن عباس وابن الخطاب وابن جبل وابن مسعود وابن عمر وابن عمرو ابن العاص وعلي وعائشة وغيرهم. ورغم ذلك يتحرج ذلك الرهط من أشباه العلماء من ذلك حفاظا على مكانته بين الناس.

9 — ذهب المفطرون بالأجر. قاعدة أصولية جليلة يمكنك القياس عليها اليوم. أولئك المفطرون أفطروا في رمضان لأنهم كانوا في سفر أو مهمة أو غزوة أو غير ذلك من حاجات الدنيا وضروراتها. أتى عليهم عليه الصلاة والسلام بما لم يثن على الصائمين. أي دين هذا الذي يثني في الحالات المعروفة على المفطرين ولا يثني على الصائمين. هذا دين لا بد أن يكون له شأن. هذا دين العقل والحكمة والعلة والمصلحة ورعاية الحاجة والضرورة وليس هو دين الدغمائية المسيحية التي يتمسح بها حتى اليوم رهط من رجال الدين عندنا ممن لم يشم الواحد منهم لا ريح علم ولا ريح فقه. أفطر الرجل في رمضان بحضرة خير الصائمين عليه الصلاة والسلام وفوق ذلك كله جنى ثناء من سيد الفقهاء وأمير العلماء. إذا كان المنشود هو الأجر. فإن الأجر حصل بالفطر ولم يحصل بالصيام. ذلك هو معنى أن الحكم يدور مع علته وجودا وعدما. ليس هناك أمر غير معلل ولا غير مقصد إلا في تفاصيل العبادات التي لا نفقه علل تفاصيلها وليس علتها العظمى الكبرى. لك أن تقيس تلك القاعدة في حياتنا المعاصرة على من يحج مرة واحدة في حياته أو أكثر من ذلك بقليل ثم ينفق ما كان سينفقه على كل حجة على المحتاجين من اليتامى والأرامل وطلبة العلم وبناء مرافق الحياة للناس. لك أن تقول على هؤلاء أنهم ذهبوا بالأجر بأكثر ألف مرة مما ذهب به من يحج كل عام أو كل عامين والناس من حوله جوعى وظمأى وخوفى وعراة وحفاة في فلسطين وإفريقيا وآسيا. لك أن تقول : ذهب المنفقون بالأجر ولك أن تقول ذهب المعلمون بالأجر ولك أن تقول ذهب المقاومون بالأجر ولك

أن تقول على كل من يخدم الناس ويقضي حوائجهم مقدما ذلك على العبادة عندما يحين أوان ذلك — وليس عندما لا يحين أوانه عبثا بالدين — .. لك أن تقول عن أولئك : ذهبوا بالأجر. بمثل ما ذهب ابن العباس بأجر القيام والإعتكاف في خير الزمان رمضان وخير المكان مسجده عليه الصلاة والسلام إذ جاءه الرجل له حاجة فخرج معه يبغي قضاءها. ترك سيد الفقهاء أو حبر الأمة وترجمان القرآن أفضل عبادة في أفضل زمان وأفضل مكان وهو أفضل عبد .. ترك ذلك لقضاء حاجة قد تقضى وقد لا تقضى. لأنه يفقه مراتب الأعمال وفقه الأولويات. يفقه أن الخير المتعدي أكثر أجرا من الخير القاصر. لكم نحن بحاجة إلى ذلك الفقه العباسي العظيم. لكن نحن بحاجة إلى أتباع وتلاميذ لإبن عباس. لكم نحن بحاجة إلى مدارس وكلليات ومعاهد وجامعات تتمحض لذلك. لكم نحن بحاجة إلى من ينفق على مثل تلك المشاريع العلمية العظيمة.

10 — عدم إتيان الرخص هو إتيان للمعصية. ذلك هو مفهوم المخالفة (آية فقهية أصولية) للحديث الذي مر بنا. ” إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معاصيه.” مفهوم المخالفة يقضي بأن من لا يأتي رخص ربه حاله حال من يأتي معاصيه. أي عار وشنار هذا؟ أجل. هو عار وشنار. إذا وجدت نفسك متأبيا عن إتيان رخص ربك فإن في قلبك مرض إسمه الكبر. في عقلك مرض إسمه : الجهل المركب. أعلم أن واضع الشريعة هو الله وليس أنت. أعلم أن خير من طبقها هو محمد عليه الصلاة والسلام وليس أنت. إذا علمت ذلك فتواضع لربك وإقبل رخصه وإقتد بمحمد عليه الصلاة والسلام وإقتف أثره. لقد صام يوم المسير إلى مكة فلما أجهد أفطر فافطر الناس إلا رهطا منهم. قال فيهم: أولئك العصاة أولئك العصاة أولئك العصاة. عصاة رغم صيامهم. أجل. عصاة رغم صيامهم. بل أفطر يوم عرفة ليعلم الناس أن الأليق بعرفة الفطر لأنه مظنة إجهاد لا يطيقه الجسم. فيتقدم الصوم وهو مستحب هنا على الوقوف وهو فرض هنا. ومن شغله الفرض عن النفل فهو معذور ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور. من غرر به؟ غرر به عقله الأفن. من الناس من يغرر به الشيطان وذاك مشكلته في قلبه ومنهم من يغرر به الجهل وذاك مشكلته في عقله. كلاهما معوق يحتاج إلى طبيب ووصفة وصيدلاني ودواء.

11 — لا للتعسف على الغرائز باسم الدين. لذلك ورد في المتفق عليه أن أحب العباد إليه من الصائمين أعجلهم فطرا وآخرهم سحرا. بل ورد أنه إذا حضر العشاء والعشاء فإن الدين يأمر بتقديم العشاء وتأخير العشاء. (العشاء بكسر العين هي الصلاة وبفتحها هي أكلة الليل). إنما أرثي لرهط من أحداث الأسنان يستنكفون عن الإفطار حتى يتم المؤذن أذانه. تلك هي الخطوة الأولى في الغلو والتشدد والغلو والتشدد هما الخطوة الأولى في التمسح والتنصر. كم من مسلم يقوده عقل مسيحي وكم من مؤمن يقوده عقل يهودي. لم يختلفوا إلا في الطقوس. بل وصل حد اليسر ومراعاة الغرائز حتى أنه أمرنا بأن نواصل أكل اللقمة التي في اليد أو الفم إذا باغتنا الإمساك. لم أجد لمراعاة الإسلام للغرائز نظيرا ورب الكعبة. لم يأت الإسلام بعباداته — وعبادة الصوم بصفة خاصة — نقمة ولا تنكيلا و تشفيا ولكنه رحمة. تمام الرحمة أن تقرر في أول لحظات الإفطار وأن تمسك في آخر لحظات الإمساك. ألم يقل لنا : ” إن الله كان بكم رحيمًا.” ألم يقل لنا : ” ما يفعل الله بعذابكم.” قوله السحور بركة يحمل المعنيين : بركة معنوية لأن المتسحر يذكر ربه في العادة فهي بركة في تلك الساعات المباركات جدا : ” والمستغفرين بالأسحار.” وبركة مادية وهي بركة الاستعداد للصوم بالأكل ليقوى الجسم على التحمل

والطيقان فلا يجهد. لم نلتقط بركة الدين ونهمل بركة الدنيا. هل نحن مسيحيون؟ ألم أقل أن بعضنا مسلم في ثوب مسيحي وبعضنا مؤمن في عقل يهودي.

12 – لم تفتون الناس بالأعسر. من الأمثلة على ذلك أن الأحاديث التي أوردت أنه عليه الصلاة والسلام كان لا يبالي أي ثلاثة أيام يصوم من الشهر أصح سنداً من الأحاديث التي ربطت ذلك بما سمي بالأيام البيض. أي الثاني عشر والذي يليه والذي يليه. ثم راح الفالحون منا ممن يحسنون الحذقة الفارغة والمماحكة الشاذة .. راحوا يؤلفون من عندهم بما ظنوا أنها كشوفات علمية بأن صوم تلك الأيام البيض أنفع للبدن وأتقى للدين. وكم تلفى في أيامنا هذه من مغرور بالعلم الظني ومسحور بمكتشفاته حتى إنه ليلوي النصوص ليا لجعل الدين والعلم في كل صغيرة وكبيرة في تواؤم تام. لا يبالي بظنية هذا أو ذاك. سرعان ما يخطف الأمر ثم يؤلف حوله ما يؤلف لأنه يشكو هزاً لا حاداً في اليقين فهو يملؤه بذاك الحشو ويحسب أنه يحسن صنعا ونهاية الرسالة هي : العلم الحديث يزكي الدين بالكلية في الصغير والكبير. ما هكذا تورّد الإبل يا صاحبي. خصومة الدين مع العلم أوسع نطاقاً وأرحب مجالاً وليس هذا حقلها. سل أي شيخ اليوم عن أحب الأيام الثلاثة للصوم في الشهر ليقول لك هي الأيام البيض. ثم إرجع إلى السند لتلفى أن الأمر ليس مختلفاً فيه فحسب بل مرجح لصالح اليسر بأن يصوم الصائم أي ثلاثة أيام إذ فينا المسافرين والمريض ولو حبست الأيام الثلاثة على الأيام البيض لكان الأمر شبيهاً بتأقيت رمضان أي أمراً موصوفاً بدقة ولكن في أمر النافلة سعة تتبع من سعة الدين نفسه. حتى لو كان الأمر مختلفاً فيه وليس راجحاً لفائدة أي ثلاثة أيام في الشهر.. حتى لو كان ذلك كذلك لكان لزاماً عليك أن تفتي الناس باليسر.

13 – رجلان لا يصومان إلا بإذن. هما الزوجة والضيف. أما الزوجة فلا تصوم المستحب وليس دونه من فريضة أو قضاء أو نذر أو كفارة أو غير ذلك إلا بإذن زوجها. هنا نحتاج إلى بناء موقف يتسم بالوسطية والإعتدال ومراعاة الفطرة من جهة أخرى. الجهل بالفطرة والجهل بالسنن هما أم الجهل في نظري المتواضع. الجاهل بالإنسان سيما فطرة وتكويناً هو جاهل بالحياة كلها ولا أمل له في أن يكون فقيهاً لا في الحياة ولا في الدين من باب أولى وأحرى. أصل ذلك أن الله خلق الرجل للمرأة لقضاء وطر إستمتاعي أغلبه – وليس كله – إستمتاع معنوي بما أودع في المرأة من فطرة قوامها نشدان السند القيوم والفحل الحامي. لا تغرك الحضارة الغربية المائجة التي تحاول عبثاً الإستئساد على ذلك. تلك فقايع تكذبها الوقائع وإحصائيات الجريمة وصيحات العقلاء منهم ومن النساء منهم. ذلك هو الشق الأول من الأصل الفطري والشق الثاني منه هو أنه سبحانه خلق المرأة للرجل لقضاء وطر إستمتاعي أغلبه – وليس كله – إستمتاع مادي بما أودع فيه من غريزة جنسية ماردة وبما جعله دوماً طالباً كادحاً يعدو خلف المرأة ليجتنيهاً وبما جعلها دوماً مطلوبة منشودة يعدى خلفها وهي تبذل للعادين غنجاً يغوي هذا أو يغري ذاك. المرأة فطرت كذلك ولكن تختلف أساليب ذلك من امرأة لأخرى وللبيئة في ذلك أدواراً وأي أدوار. أدوار تحيطها البيئات المحافظة بما تحيطها فلا يرقبها غير الحصيف وتطلق عنانها البيئات المندلقة بمثل ما تندلق الإسهالات لتغشى المكان بالذي تغشاه. أصل ذلك باختصار شديد هو أن الرجل الذي يعد للجلد مائة جلدة إن كان عزباً لم يحصن وربما للرجم إن كان محصناً (مع الإختلاف في الرجم هل هو تعزير نبوي بمقام الإمامة والولاية أم هو حد شرعي مثله مثل الجلد وهو إختلاف صحيح جاد وليس هنا مجاله ودعك من أشباه العلماء الذين لم يرسخوا في الفقه).. الرجل الذي يعرض لذلك الغرم الكبير الغليظ من

حقه أن ينعم بغنم إسمه : حقه في زوجه تبعا لشراة غريزته الجنسية ونهبتها التي علمنا عليه الصلاة والسلام بعضها عندما أرشدنا إلى أن الرجل إذا وجد في نفسه من إمراة لا تحل له مما يجد الرجال بين يدي النساء من فتنة وغواية وإغراء فإنه عليه أن ينجذ نفسه بإمرأته وقال : فإن عندها الذي عندها. أما إذا ألفت شريعة تعرض الرجل للجلد وربما الرجم أصلا بما غلبت عليه شقوات الغواية سيما في مجتمعات منحلة بالكامل وشرعتها التبرج المغربي ثم لا تسن له في مقابل ذلك الغرم غنما يستوي به ميزانه ويعتدل به مزاجه .. إذا ألفت شريعة تلك حكمتها فسمها أي شيء إلا الإسلام العظيم الكريم. شرع ذلك لأن الرجل قد يكون مسافرا في أوقات غير معلومة أو طارئة وقد تكون المرأة غير جاهزة لتلبية وطره بما يطرأ عليها مما نعرف ويطرأ عليه مما نعرف من صروف الدهر وطلب العيش. شرع ذلك لأن المرأة قد تكون صوامة قواما لا تراعي حق زوج. ليس في الإذن إهانة للمرأة ولا حجب للتدين عنها ولا مس من حرياتنا وحقوقها. ولكن فيه مراعاة لميزان : غرم الجلد والرجم بغنم الإستمتاع. هو حق الزوج على زوجه بمثل حقها عليه من إنفاق وحماية وقوامه ومنافحة وحقوق أخرى معلومة. حق مبناه الفطري الثابت هو أن الغريزة الجنسية في الرجل أقوى ألف مرة منها في المرأة. تلك حقيقة فطرية يغفل عنها كثير من الناس بل يجهلها كثير منهم. ما يشغب على تلك الحقيقة في أذهان أولئك هو حب المرأة للزينة والطيب والظهور بالحسن بل ربما مباشرة أسباب الغواية والإغراء والفتنة. هما أمران في المرأة لا يغذي أحدهما الآخر : حب المرأة للزينة وما ذكر أنفا أصيل فطري ثابت ولكن ذلك لا يعني أن غريزتها الجنسية بمثل قوة الغريزة الجنسية في الرجل. ذلك مثال على ظاهر لا يلتقي مع باطنه وهو محل فقه ونظر وعلم لمن يريد طلب العلم من مظانه وليس من مظاهره وقشوره.

أما الرجل الثاني الذي لا يصوم إلا بإذن فهو الضيف وعلّة ذلك المنع هو مظنة إخراج المضيفين. إذا إنتفت العلّة لا مانع من صوم الضيف. كلما نمت مظنة إخراج المضيف إمتنع الضيف عن صيام النفل وليس الفرض طبعاً. صومه ضيفاً يكلف المضيفين إعداداً زائداً فإن لم يفعلوا كلّفهم ذلك حرجاً زائداً سيما عن العرب المعروفين بالكرم وإقراء الضيف.

14 - أنظر فلسفة الإسلام الجنائية لتزداد إمتلاء بفقه أحكامه وإستيعاب علله ومقاصده وتمحضا إلى الدعوة إليه ببسر. هي قصة من المتفق عليه. رجل وقع على إمراة في رمضان فعرض عليه عليه الصلاة والسلام أن يعتق رقبة فما وجد ثم عرض عليه أن يصوم شهرين متتابعين فما إستطاع ثم عرض عليه أن يطعم ستين مسكينا فما قدر. ماذا يفعل له النبي الأكرم عليه الصلاة والسلام؟ رجل أخطأ وهو فقير معدم وضعيف هزيل. هل يقتل مثل هذا لأنه أخطأ؟ هل ينبذ عن المجتمع الإسلامي ليستريح منه الناس؟ هل يؤدب بالجلد أو الرجم أو يعزر بالجريد والخفاف؟ أنظر إلى الطبيب المعالج كيف يحسن إدارة الطوارئ. هي حالة طارئة يندر وجودها في المجتمع ولكن لها حلول. يذهب بنفسه ليأتي له بعذق فيه تمر ليتصدق به الرجل لعله يطعم ستين مسكينا. قال الرجل المخطئ ببدايته وعفويته : ما بين لابتيها من هو أحوج منا لهذا. موقف لا يحمله عليه الصلاة والسلام على الغضب لأن محارم الله تنتهك كما تسمع اليوم من الأغرار وأحداث الأسنان. موقف يحمله على الضحك حتى بدت نواجذه وثناياه. كيف تضحك يا رسول الله وحدود الله تنتهك؟ كيف تضحك والرجل مخطئ بوقوعه على زوجه في يوم رمضان وهو فقير معدم وضعيف مهزول؟ كيف يعالج الوضع الطارئ؟ يعالجه بالرحمة وهو الرحمة المهداة والنعمة المسداة. يعالجه بقوله : إذهب فأطعمه أهلك. تنتهي القصة وليست

القصة إجتهدا من صحابي أو فقيه أو عالم أو مفت. القصة تشريع نبوي. تشريع نبوي نفتدي به ونتبع أثره ونفتقي أثره ونقول : سمعنا وأطعنا. هل إنتهكت محارم الله هنا؟ هل عبث بالدين وحدوده هنا؟ هل سيزداد ذلك الرجل وقاحة ووقوعا على إمرأته في يوم من أيام رمضان؟ هل يتعلم الصحابة من ذلك إستهتارا بتعاليم الدين؟ لا شي من ذلك يحصل لا للرجل ولا للصحابة الذين شهدوا القصة وحملوها إلينا. الحاصل الوحيد هو : درس من فقه النبوة فيه الفقه وفيه العلم وفيه الرحمة وفيه الأناة وفيه الحلم وفيه عظة بل عظات للمفتين من بعده. أين المفتون الذين يتعلمون من هذا الدرس البليغ. أقولها بأعلى صوت وأسجلها بأشد المداد سوادا : لو عرضت مثل تلك الحادثة على أكثر الفقهاء والعلماء والمفتين اليوم لكانت الفتوى فيها مخالفة لفتواه عليه الصلاة والسلام بنسبة مائة بالمائة. لا إخالني في ذلك مبالغا حبة خردل. جرب بنفسك حتى تلقى النتيجة المرة بنفسك وتقف عليها بعينك. جرب بنفسك وسل من شئت إلا أن يكون فقيها مقاوما وقليل ما هم.

كلمات في خلق الصائم.

1 – الصيام مدرسة لرص الصف الداخلي. برز ذلك من خلال بعض النصوص منها قوله عليه الصلاة والسلام : « صومكم يوم تصومون وفطركم يوم تفطرون » ومنها كذلك : “ ألا أدلكم على ما هو خير من الصلاة والصيام والصدقة؟ قالوا : بلى. قال : إصلاح ذات البين فإن ذات البين هي الحالقة “. ومنها ما مر بنا من خلق ابن عباس مع الرجل المكتئب. تلك هي وظائف العبادات كلها من توحيد وصلاة وصيام وزكاة وحج. تتكافل كلها لبناء صف إسلامي مرصوص كالبنيان يشد بعضه بعضا. ليس للعبادات في الإسلام مقاصد مرادة منه سبحانه لتطبيب القلوب وتحريضها على العبادة فحسب ولكن مقاصدها مزدوجة منها ذاك ومنها المساهمة في إستتباب السلم بين الناس. ليس لفلان أو علان يوم خاص لصيامه أو فطره ولكن صوم الأمة قاطبة يجب أن يكون في يوم واحد وكذا فطرها. الإجتماع من لدن الأمة على يوم واحد للصوم وآخر للفطر مقصد في الإسلام قاصد أصيل عظيم ومقدم. حتى لو كان ذلك خطأ إجتهدا من ولي الأمر فليكن خطأ إجتهدا في الصيام أو الفطر ولكن حسنته أعظم من ذلك الخطأ ألف مرة. حسنته هي غرز جسم الأمة بلقاح مهم جدا إسم: لقاح العصر ضد التفرق والتجزئة والقابلية للإحتلال بأي صورة من صور الإحتلال. أجل. كل النوافل تسقط لأجل القيام على فريضة إصلاح البين. تسقط النوافل من صلاة وصيام وصدقة وعمرة ولا تسقط الفرائض. الأمور مرتبة في الإسلام بسلم أولويات عجيب محكم. أعلى شيء فيه : التوحيد ثم الوحدة والإجتماع والتكافل والإعتصام ثم كرامة الإنسان. تلك هي المقدسات الإسلامية والمحكمات القرآنية والثوابت المرجعية.

2 – الصيام مدرسة للتكافل الإجتماعي. تقطير الصائم ليس صدقة أو حسنة أو مستحبا يأتيه من شاء وقتما شاء. ذلك في حق الفرد. أما في حق الجماعة فهو فريضة إسلامية إجتماعية مفروضة. رص الصف الإسلامي أنف الذكر لا يتم بغير رعاية المستضعفين واليتامى

والأرامل والمحتاجين. رعاية أولئك من لدن الأمة فريضة وليست حسنة. لو لم يكن ذلك كذلك لما بني الإسلام على خمس منها : الزكاة. إنباء الإسلام على الزكاة معناه أن التكافل الإجتماعي فريضة إسلامية لا تسقط حتى يسقط الإسلام كله ويخر سقفه وينهدم بنيانه على أهله. مصداق ذلك على الأرض أن الأمة تتقهقر بقدر تفریطها في فريضة التكافل الإجتماعي وتتهض بقدر رعايتها لتلك الفريضة.

3 – هل تعجز أن تصوم شهرين كاملين في شهر واحد. عجائب التشريع الإسلامي ووعوده عظيمة لا يلحق بها لاحق ولا يحيط بها قلم ولا لسان. تتدف المحيطات والبحور محيطا من بعد محيط وبحرا من بعد بحر ولا تتدف كلمات التشريع الإسلامي. من مظاهر ذلك أن الصائم يمكنه صوم يوم واحد فيسجل في صحائفه أنه صام يومين. وكيف ذاك؟ الأمر بسيط جدا. تقرر صائما فيحق لك الوعد النبوي الصادق العظيم : ” من فطر صائما كان له مثل أجره دون أن ينقص من أجر الصائم شيء”. عطايا مصارف الرحمان وهدايا بنوك الديان سبحانه لا تحيط بها مصارف الدنيا مجتمعة ولا بنوكها متكافئة. المقصد القاصد من ذلك هو : تعزيز عرى الصف الإسلامي الداخلي المتكافل إجتماعيا وتمتين أواصره على التأخي والتراحم.

4 – التكافل يكون حتى بين الأحياء والأموات. هي عجيبة أخرى من عجائب هذا التشريع العظيم. تكافل بين الأحياء والأموات وذلك من خلال تطوع الأحياء لقضاء ديون الأموات مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام : ” من مات وعليه صوم صام عنه وليه”. لو صام عليه أي مؤمن آخر لجاز وقضي الدين. ولكنه قال وليه : لأن الولي هو الذي يعلم في العادة ديون الميت وهو الأولى بقضائها سيما إذا أوصاه بذلك الميت. ولكن يقضي كل مؤمن حي عن كل مؤمن ميت ديونه سواء ما ترتب منها حيال الله سبحانه أو حيال العباد. ثم علل عليه الصلاة والسلام ذلك بقوله : ” دين الله أحق بالقضاء”. ليس أثقل على الميت من أن يموت تاركا خلفه ديونا. وخاصة ديونه حيال الناس لأن هذه على المشاحة كما يقولون بينما تكون ديون الله سبحانه على المسامحة. ولذلك ورد التشديد في الدين كثيرا حتى إنه صلى الله عليه وسلم إمتنع عن صلاة الجنازة عن ميت من المسلمين أخبر أنه مات وعليه ديون. لا حد لخلق التكافل الإجتماعي والديني بين المسلمين : أحياء وأمواتا.

5 – كيف يتعامل مع المخطئ عليه الصلاة والسلام. رأينا تعامله مع الذي وقع على إمرأته في نهار رمضان. قصة أخرى وقعت لبعض الصحابة منهم عدي ابن حاتم الذي فهم الخيط الأبيض والأسود في الإمساك عن الأكل في رمضان فهما ماديا بمنل ما يقع فيه الناس في كل زمان ومكان. لم يكن ذلك خاصا به أو بذلك الزمان. لقد شهدت بنفسي ذلك في زماننا. لم يزد عليه الصلاة والسلام على أن علمه الأمر ببسر وسهولة وبساطة ورحمة. ولم يسأله عن عدد الأيام التي أمسك فيها بعد طلوع الفجر ولا أرشده إلى قضائها لا إستحبابا ولا وجوبا بمنل ما يفعل أدياء العلم اليوم عندما يشرعون من تلقاء أهوائهم بدعوى الزيادة في الخير أو الإحتياط وهو ما يعكس جهلهم. هو وضع قاعدة مكيئة عظيمة يظل يحتكم إليها دوما. هي قاعدة أن الله سبحانه تجاوز له عن أمته الخطأ والنسيان. كل ما يرد تحت ذلك هو معفو عنه. أما فلاسفة العلم عندما اليوم فهم يضربون بتلك القاعدة النبوية الأصولية العظيمة عرض الحائط بالرغم من أن جلهم أو كلهم يعلمونها حق العلم. ولكن لهم تشريع آخر أكثره تراث وتجربة وتاريخ وعرف وتقليد.

6 – صورة من صور الحرص علينا والرحمة بنا والرفقة. صورة من صور الرفقة النبوية بالعباد والرحمة بهم. صلى التراويح في رمضان ليلة أو ليلتين وربما ثلاث ليل فلما ضاق المسجد بالناس من خلفه تخلف عنهم في ليلتهم الرابعة وعلل ذلك بقوله : خشيت أن تفرض عليكم فلا تطيقوها. حس نبوي مرهف من جهة ومن جهة أخرى رحمة متناهية ورفقة ليس لها حدود. هي صورة يمكن لأولياء الأمر من بعده أن يستنبطوا منها خلق الرحمة بالعباد و الرفقة بهم والحدب عليهم. هي صورة يمكن أن تضيف إلى عقل المؤمن وقلبه بعدا آخر من أبعاد شخصية محمد عليه الصلاة والسلام. بعد إسمه : الرحمة والرفقة إلى حد التخلي عن العبادة المنفولة. فلما أمن الناس أنه لن يفرض عليهم بعد موته عليه الصلاة والسلام شيء جدد الفاروق سنة التراويح وغدت من يومها حتى يومنا هذا سنة سارية جارية.

7 – أليست هي بدعة عمرية. هي تجديد عمري فاروقي عظيم. تجديد في الدين وإحياء لسنة أن أو أن تجديدها. إذا قست الأمر بميزان البدعة فهي بدعة لأنه عليه الصلاة والسلام تخلف عنها بعد ثلاث ليل فحسب. ولكن إستأنفها الفاروق. ما الذي جعلنا إذن نقبل هذه البدعة؟ هو أمر واحد لا ثاني له وهو أنها ليست بدعة في الدين ولكنها في تنظيم بعض العبادات الدينية أو ترتيب نوافلها من جهة ومن جهة أخرى لأنها بدعة مرتبهة بعة هي علة أمن الفرض والإيجاب. ليس كل حديث جديد بدعة إذن حتى لو كان موصولا بالدين وصلا وثيقا. أليست التراويح من الدين. أليس الأذان الذي غير عدده الفاروق من الدين كذلك. أمر مخرج جدا للأغرار الذين يملؤون الدنيا هرجا ومرجا بمحاربة البدع ولا يفقهون من حقيقة البدعة شيئا. على أولئك إن كانوا صادقين مع أنفسهم أن يتخلوا عن التراويح بمثل ما تخلى عنها عليه الصلاة والسلام أو عليهم أن يحاربوا هذه البدعة العمرية الفاروقية. لماذا لا يفعلون إذن؟ أمر البدعة عندهم يعلوه تشويش كبير وخطأ أكبر وإضطراب أشد. لذلك تراهم يلحقون هذه بالبدعة بينما يصوبون الأخرى بغير مقياس وسطي عادل ولكن بهوى أو بجهل أو بكليهما.

كلمات في أمارات دخول الشهر.

1 – ثلاثة طرق لتبين دخول الشهر القمري. ثلاثة طرق حددها الحديث الصحيح المتفق عليه بين الإمامين البخاري ومسلم. أحدهما من رواية أبي هريرة والآخر من رواية ابن عمر. سيأتي بعد قليل أن طريق التقدير هو من رواية ابن عمر. وفي هذا بلاغ مبين لأهل العلم والفقه كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

2 – ثلاثة طرق صحيحة هي أم السنة النبوية في هذا المجال. ثلاثة طرق لا يتقوى طريق منها عن طريق آخر بسبب السند أو الرواية. لأن الطرق الثلاثة متفق عليها بين أكبر إمامي الحديث بإجماع الأمة قاطبة خلفا عن سلف وكابرا عن كابر وأبا عن جد. أما إذا وقر في الناس شيء آخر غير ذاك فالمطلوب ليس تخطئة هذا الحديث أو نبذ ذلك الطريق أو إتهام أبي هريرة أو ابن عمر ولكن المطلوب هو البحث عن الأسباب التي جعلت هذا الطريق يقر في

البيئات والعادات والتقاليد بينما ينبذ الطريق الآخر. وإذا عرف السبب بطل العجب كما قالت العرب.

3 – الطرق الثلاثة هي : الرؤية و إكمال عدة شعبان ثلاثين يوما و التقدير. كذا وردت بالنص.

4 – ترى هل يحمل الحديث غاية ووسيلة أم هو حديث غاية وليس حديث وسيلة أو هو حديث وسيلة وليس حديث غاية أو هو حديث يدل على الغاية منه وفي الآن ذاته يبين السبيل إلى تلك الغاية. هما حديثان يبينان قطعا الأمرين معا : الغاية منهما هي : الأمر بصيام شهر رمضان. والوسيلة هي ثلاثة طرق : إما الرؤية فإن إستحالت الرؤية فإكمال عدة شعبان ثلاثين يوما فإن إستحال ذلك فالجوء إلى التقدير.

5 – فما هو التقدير؟ التقدير هو التفكير وإعمال العقل والتدبير. التقدير لغة هو تضيق مجالات البحث خطوة من بعد خطوة لأجل الوصول إلى نتيجة صحيحة أو يغلب على الظن أنها كذلك. وذلك من فعل قدر يقدر قدرا ومزيده قدر يقدر تقديرا ومنه الذي ورد في الكتاب مرات في مثل قوله : ” إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر”. يقدر معناها : يضيق وهي ضد يبسط. التقدير لدخول شهر رمضان – والأمر ليس خاصا بربضان ولكنه بكل شهر قمري – معناه : إعمال التفكير والإجتهاد وما يقتضياناه للإتفاق على يوم يدخل فيه الشهر القمري. قال سبحانه : ” إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر”. أي إنه ظل يضيق مجالات تفكيره خطوة من بعد خطوة فيما يسميه بعضهم طريق الإستقراء والإستنباط لأجل الظفر بالفكرة الأخيرة التي يرتاح إليها ويطمئن إليها. التقدير إذن لغة هو التفكير.

6 – التفكير إذن هو الطريق الثالث لتبين دخول الشهر القمري عندما تستحيل الرؤية بسبب الغباء في السماء أي ما يحجب الرؤية وعندما تستحيل بسبب الغمة كذلك ويكون شعبان قد إكتمل ثلاثين يوما. التقدير هو الذي أشار إليه سبحانه في كتابه مرات : ” لتعلموا عدد السنين والحساب “. أي أن العلم بعدد السنين عن طريق الحساب ومنه عدد الشهور والأيام والساعات والدقائق والثواني واللحظات .. كل ذلك مطلوب في الإسلام. مطلوب للدين ومطلوب للدينيا. مطلوب للدين لتبيين دخول أوقات الصلوات التي نأتيها خمس مرات في اليوم واليلة ومربطها الشمس. ولكن عبادات أخرى مربوطها القمر ومنها دخول شهر رمضان وشهر ذي الحجة وكل شهر قمري ولكن جرت العادة أن الناس لا يهتمون بذلك سوى عند الحاجة وهو إهمال غير مقصود ولكن آثاره وخيمة. الحاصل هو أن العلم بالحساب الفلكي ورصد حركة القمر وتبدله من منزل إلى آخر فريضة إسلامية كفائية ضرورية لأنها طريق ثالث من طرق تبين دخول شهور العبادة المهمة جدا أي : رمضان وذو القعدة وذو الحجة.

7 – لماذا نص عليه الصلاة والسلام على طرق ثلاث؟ أولا لأن إمكانيات الغباء في السماء أو الغمة بسبب رداءة الأحوال الجوية كما يقال واردة جدا وهي معيشة اليوم عندنا بأكثر مما كانت عندهم في الجزيرة العربية وفي هذا نبوءة محمدية عظيمة وحرص على إرشاد الناس إلى الطرق التي يستعاض بها عن مجرد الرؤية حتى لا يرتبط الإسلام بالجزيرة العربية أو بالجو الصافي أو بأي مكان أو أي زمان فهو دين الناس كافة قاطبة في كل زمان وفي كل

مكان. وثانيا لتعليمنا أن الحساب الذي أشار إليه القرآن الكريم ليس خصيما للإسلام بل هو مطلوب ليس لإقامة الدين فحسب بل لعمارة الأرض والخلافة فيها وأداء الرسالة والعدل والشهادة على الناس. النص على تلك الطرق الثلاثة إذن هو من باب اليسر على الناس وليس من باب العسر عليهم. الحساب في حياتنا الدينية شيء ثابت : ثابت في الصلاة التي نلتزم فيها بحركة الشمس وثابت في الصيام الذي نلتزم فيه بحركة القمر وثابت في الزكاة التي نلتزم فيها بحركة القمر وثابت في الحج الذي نلتزم فيه بحركة القمر وثابت في ما يسمى اليوم الأحوال الشخصية من أقراء (جمع قرء : قروء وأقراء) متعلق بعدد النساء وعدد طلاقات وأزمنة رضعات ونلتزم فيه بحركة القمر. حركات القمر والشمس إذن هي التي تحدد الدين الثابت الموقوف والمعلوم من الدين بالضرورة وذلك لغرز قيمة الشعور بالزمان وقيمة الزمان فينا غرزا نستحيل به متحضرين راقين معاصرين مدنيين.

8 – الرؤية اليوم رؤيتان. رؤية بالعين المجردة وهي متاحة في مكان وغير متاحة في مكان آخر وربما متاحة كذلك في زمان وغير متاحة في زمان آخر. الرؤية بالعين المجردة اليوم تترك مكانها لأسباب مناخية وعلمية كثيرة للرؤية العلمية إن صح التعبير أي الرؤية بالآلات. الرؤية بالآلات هي الرؤية الثانية إذن. السؤال هو : هل الرؤية بالآلات رؤية يحتملها الحديث طريقا من طرق تبين دخول شهر رمضان أم لا. من يقول : أجل. يجب عليه أن يعترف بالحساب طريقا لإثبات دخول الشهر بسبب أن الرؤية بالآلات هي طريق التقدير والحساب وليست طريق الرؤية في الحقيقة. الآلة المصممة التي رأيت بها الهلال ليست هي عينك بل هي عين العلم ولم تكن عينك في الرؤية غير شاهد آخر. أما الشاهد الأول فهو تلك الآلة. أما من يقول : لا. ليست الرؤية بالآلات العلمية الحديثة المعاصرة منتمية إلى عالم الحساب والتقدير فهو منسجم مع نفسه في رفض طريقين من طرق إثبات دخول الشهر مما نص عليهما الحديث. نص الحديث على التقدير والتقدير منتم بالضرورة إلى الحساب الفلكي وصاحبنا يرفضه وهو رفض للحديث والسنة. نص الحديث على إكمال شعبان ثلاثين يوما وهذا بدوره منتم بالضرورة إلى الحساب والتقدير وصاحبنا يرفضه وهو رفض للحديث والسنة. كما نص الحديث على إمكانية الرؤية بالآلات العلمية عندما تستحيل الرؤية بالعين المجردة أو عندما تتقدم العلوم وتتطور بمثل ما هو الحال عليه في عصرنا اليوم وصاحبنا يرفض الرؤية العلمية وهذا رفض للحديث والسنة. من يرفض الحساب والتقدير لا يرفض أكبر مقاصد الإسلام فحسب لعمارة الأرض وإقامة العدل بين الناس والحكم بينهم بالحق بل يرفض أكثر الطرق السنية والعلمية الصحيحة التي دلنا عليها الحديث. هو يرفض السنة والحديث. علم بذلك صاحبنا أم جهل. العبرة بالنتيجة. ربما يشفع له أنه لا يرفض الحديث والسنة وهو يعلم.

9 – الخلاصة من ذلك هي أن الطرق الثلاثة المذكورة في الحديثين الصحيحين المتفق عليهما من رواية أشد علماء الرواية – بل أحدهما فقيه دراية كما سيأتي بعد قليل – علما وفقها بالرواية.. الطرق الثلاثة المذكورة في الحديث هي طرق علمية تنتمي إلى عالم العلم والحساب والتقدير. أجل كلها. طريق الرؤية التي يتوسل إليها اليوم بالآلات والآلات عمل علمي حسابي تقديري وليس رؤية مجردة طبيعة ليس فيها سوى العين المجردة والفضاء والسماء والهلال. وطريق إكمال عدة شعبان ثلاثين يوما وهي عملية علمية حسابية. وطريق التقدير الحسابي الذي نص عليه الحديث صراحا بواحا جهارا ليعلم البشرية أن الإسلام والعلم لا يتخاصمان ولكن يتكاملان ويتخادمان لأجل نقل الحقيقة العلمية إلى الناس ليستقيم دينهم بالحساب والتقدير صلاة

وصياما وزكاة وحجا بمثل ما تستقيم دنياهم بالحساب والتقدير كما هو معلوم اليوم. الرافضون إذن للحساب والتقدير هم رافضون للحديثين المتعلقين بتبين دخول شهر رمضان بالكلية.

10 – هذه لطلبة العلم النابهين. مؤداها أن الحديث المتفق عليه الثاني بين أكبر إمامي الحديث في تاريخ الأمة بإجماع الأمة قاطبة جيلا من بعد جيل .. ذاك الحديث هو من رواية ابن عمر. ومن هو ابن عمر؟ ابن عمر هو المعروف في الفقه الإسلامي بصاحب المذهب المتشدد حتى إنك تلقى في الفقه دوما هذه العبارة : بين توسعات ابن عباس وتشددات ابن عمر. التشدد هنا لا يعني التشدد الذي يطغى علينا في هذه الأيام الكالحات بسبب سوء الكيلة. التشدد المقصود من ابن عمر هو تأويل جزئي ينضوي مع توسعات ابن عباس تحت سقف الأصول الإسلامية المعروفة المرعية لا يخرقها. إذا كان ابن عمر هو الذي روى الحديث الذي ينص على التقدير الحسابي صراحا بواحا جهارا فماذا يعني ذاك؟ ذاك يعني أن التقدير الحسابي من أم الدين وصلبه. ذاك يعني أن التقدير الحسابي طريق ثابت راسخ أصلي من طرق إثبات دخول الشهر القمري. لماذا الخروج إذن حتى على مذهب ابن عمر في ذلك الإثبات؟ الخروج على ذلك هو خروج على أصول الإسلام بمثل من يخرج من الجهة الأخرى على توسعات ابن عباس ممن قال فيهم عليه الصلاة والسلام : .. وإنتحال المبطلين". معالم الوسطية في الإسلام في هذا الموضوع هي الأخذ بأي طريق أدى بنا إلى تبين دخول الشهر القمري : يستوي أن يكون ذلك الطريق رؤية بالعين المجردة أو رؤية بالآلات العلمية أو إكمالا لعدة شعبان ثلاثين يوما أو تقديرا حسابيا. لماذا ؟ لأن الغاية هي تبين دخول الشهر لصيامه. وليست تلك الطرق الثلاثة إلا وسائل بينها عليه الصلاة والسلام لأُمَّته رحمة بهم وتوسعة عليهم.

11 – هل تتفاضل تلك الطرق الثلاثة؟ لا. أبدا. لا تتفاضل إلا في تفاضلها لتأدية ذلك البيان. أول طريق يدلنا على دخول الشهر هو طريقنا. هي وسائل وليست غايات. يمكن أن تتكافئ تلك الوسائل ليذهب هؤلاء إلى الرؤية المجردة ويذهب الآخرون إلى الرؤية العلمية بالآلات العلمية ويذهب فريق ثالث إلى بيان إستكمال شعبان ويذهب فريق رابع إلى إستخدام الحسابات الفلكية الدقيقة جدا وهي متاحة اليوم .. تتكافئ تلك الطرق الثلاثة فإن إتفقت فيها ونعمت وإن اختلفت فالمرجح هو أقواها سندا وأرجحها علما لأن المطلوب ليس هو سوى أمرا واحدا : المطلوب هو بيان دخول الشهر لصيامه وليس فتح جدالات واسعة عريضة حول هذا المجال. القضية عملية بالأساس. إذا حملت إلينا الوسائل العلمية دخول الشهر إما بالآلات التي ترصد الهلال عن بعد وبدقة فيها ونعمت وإذا حملت إلينا الحسابات الفلكية ذلك فيها ونعمت. بل إن إستخدام الحسابات الفلكية أنسب لعصرنا بسبب تطورها العجيب وحساباتها الدقيقة جدا وهي الحسابات ذاتها التي إستخدمها العلماء للوصول إلى القمر و كواكب أخرى تنتمي إلى مجرتنا الشمسية وهي الحسابات الدقيقة جدا التي إستخدموها لرصد أجرام وكواكب تبعد عنا مئات الملايين من السنوات الضوئية. خذ قلما وورقة لتدرك معنى سنة ضوئية بعد أن تعلم أن سرعة الضوء حوالي 360 ألف ميل في الثانية. خذ ورقة كبيرة وقلما لا ينفد مداده وصبرا لا ينفد كذلك وخذ متسعا من الوقت. أنى لي أن أكذب ذلك في عملية رصد الهلال وتلك الحسابات وتلك الآلات رصدت ما هو أبعد من الهلال بليون بليون مرة ومرة. السؤال الوحيد هو : هل أن تلك الحقائق علمية ثابتة أم لا. إذا كانت حقائق علمية ثابتة دقيقة فالأخذ بها فريضة لأنه أخذ بالحساب الذي أمرنا في القرآن الكريم بالأخذ به. أما إخضاع تلك التطورات العلمية الدقيقة الثابتة التي مكنت للناس من إختراق الغلاف الجوي الأرض والوقوف فوق سطح القمر ورصد

أجرام سماوية أخرى تبعد عنا بلايين مبلينة من السنوات الضوئية .. إخضاع كل ذلك لعين مجردة لا أدري هل صدقت أم كذبت .. ذلك منهاج لا يلزمني ودليلي عليه من الإسلام قرآنا يأمر بالأخذ بالحساب صراحا بواحا جهارا وسنة تنص على طريق التقدير الحساب صراحا بواحا جهارا. إلا أن أكون عبدا لسلف أو لعقل حجري. الإسلام الذي حرر عقلي أن أسجد لصنم أو أعبد شيئا غيره سبحانه .. ذلك هو الإسلام ذاته الذي أمرني بالأخذ بالحساب في كتابه العزيز وهو الذي دلني على طريق التقديرات الحسابية الفلكية في الحديث الصحيح المتفق عليه ومن رواية رجل جمع بين الرواية والدراية وأولئك في رجال الحديث قلة قليلة وهو : عبد الله ابن عمر ابن الخطاب عليهم الرضوان جميعا.

لا تتفاضل إذن تلك الطرق الثلاثة إلا بقدر تفاضلها في الإسراع بتأكيد دخول الشهر أو خروجه وبطريق صحيح أو تغلب عليه الصحة لأن الخطأ هنا وارد. هو وارد في الحسابات العلمية الفلكية الدقيقة وهو وارد — بل أشد ورودا — في الرؤيات بالعين المجردة. العبرة هنا ليست بإسم الطريق الذي دل عليه عليه الصلاة والسلام ولكن العبرة هنا هي : بتأمين الطريق المتبع سواء كان رؤية أم إستكمالا لشعبان أو تقديرا حسابيا .. تأمين ذلك الطريق لبيان دخول الشهر. من يؤمن لي ذلك على وجه السرعة والدقة والصحة هو طريقي. الطرق وسائل وليست غايات. والغاية مقدمة على الوسيلة. الوسيلة في العلوم وفي الإسلام متغيرة متحولة متبدلة والغايات ثابتة راسخة قارة.

12 — المشكلة هي : خلو الأمة من سقف سياسي واحد. تلك هي المشكلة التي لا مشكلة غيرها في قضية إثبات دخول شهر رمضان. لكم يظل الناس يدندون ويطنطنون حول قضايا الرؤية والتقدير الحسابي. أكثر الكلام هنا فارغ فارغ فارغ. أكثره وليس كله. أكثره فارغ لأنه لا يلامس المشكلة من أمها وأصلها. المشكلة في أمها هي أن الأمة اليوم ليس لها سقف سياسي واحد وليس لها قائد واحد تكون مهمته عند الاختلاف في تحديد دخول الشهر القمري هي الإستماع إلى الآراء والاجتهادات من أهلها وليس من غير أهلها ثم البت في طريق واحد وتعيين يوم واحد. ذلك ما يسميه علماء الأصول والمقاصد : ولي الأمر الذي يرفع الخلاف. لما إنتقضت عروة الحكم في الإسلام في إثر الإنقلاب الأموي ظل ذلك السقف السياسي يترنح ويتأرجح حتى إنهدم بالكلية على يد مصطفى كمال أتاتورك. ومنذ ذلك التاريخ 1923 ليس للأمة قيادة سياسية واحدة تحسم مثل هذا الأمر وتبت في طريق ما لترفع الخلاف عمليا أما نظريا فالخلاف لا يرفع وهو أمر مقصود لذاته ولغيره في الإسلام. تلك هي المشكلة. عندما تعددت رؤوس القيادة في الأمة مذهبيا وكلاميا وسياسيا وقبليا وفكريا تفرقنا وتمزقنا وتشظينا وتجزأنا وأصبحنا أمما ولم نعد أمة واحدة. مشكلتنا أننا — وليس كلنا بل بعضنا فحسب — لا نشعر بقيمة ودور الإمام الواحد الذي يحسم مثل هذا الأمر إلا عندما يحل شهر رمضان من كل عام. نختلف ونختصم ونتجادل ثم يتبع كل منا ما يراه أدنى إليه ثم نصوم وننتهي للخلاف المدمر الفارغ مرة أخرى بعد شهر واحد لنعيد بين يدي العيد جدالات فارغة بدأناها قبل شهر ثم يهنئ بعضنا بعضا في بلادة ثم نتناسى الأمر ونتجاهله عاما كاملا لنستيقظ على دويه بعد عام آخر وبين يدي رمضان جديد. وتمضي الحياة كذلك بليدة سريعة فيما يشبه الغيبوبة كأنما هي لعبة أطفال وليس غير لعبة أطفال.

13 — مشكلة هلال رمضان ليست مشكلة لا علمية ولا مشكلة دينية ولا مشكلة إسلامية

ولكنها مشكلة واحدة. هي مشكلة أمة إنهدم سقفها السياسي و إنهدمت معه قيمة الوحدة السياسية وقيمة الإمام الواحد الذي يرفع الخلاف بتعبير الأصوليين. هي مشكلة أمة تفرقت وتمزقت وتشظت وتجزأت فهي نهب لكل من هب ومن دب من بني جلدتها بله من غيرهم. مشكلة هلال رمضان بكلمة واحدة مختصرة جامعة مانعة : هي مشكلة سياسية وليست مشكلة لا دينية ولا مشكلة علمية. الدين والعلم منا براء ولكننا لسنا من أنفسنا براء.

14 – كلمة أخيرة : في ألمانيا يتحدد مطلع القمر وميلاده بدقة عجيبة متناهية ضمن رزنامات ينتجها بعضهم للاستفادة بها في بعض الأعمال العلمية. يتحدد ذلك بأساليب علمية ويرسم على تلك الرزنامات ولا علاقة لذلك بالخلفيات الدينية إذ الناس هنا لا يستخدمون القمر ولا الشمس للعبادة. يكون كل ذلك منهم بخلفيات علمية لا ضجيج فيها ولا دوي ولا خصام ولا عراك. قلت في نفسي : لم لا نستفيد من ذلك ونحن نتراشق بالتهم في قضية محسومة بالعلم. هل تصدق أن ناسا وصلوا إلى القمر لم يقضوا سنوات وسنوات في مخابرة مخابرهم يعدون اللحظات والثواني وما أدق من اللحظات والثواني لأجل ضبط حركات مركباتهم بدقة علمية متناهية؟ هل تصدق أن أولئك الناس يعجزهم أن يقولوا لك : متى يولد القمر في الشهر الفلاني ومتى ينتقل من منزلة إلى أخرى ومتى يصير قمرا ومتى يرتد هلالا ومتى يطلع ومتى يخسف؟ هؤلاء يحددون الخسوفات والكسوفات قبل وقوعها بمئات السنين وليس بعشرات السنين ولا بأحد السنين. القضية قضية علمية وليست قضية دينية. لا يهم الدين منها إلا متى يولد الهلال ومتى يطلع ليصوم الناس ويحجوا. أما متى يتم ذلك فهي مهمة العلم وليست مهمة الدين. العلم يحدد والدين يجعل من ذلك التحديد أمانة على العبادة أو على عدم العبادة. كيف ننسب أنفسنا إلى العلم ونحن نرفض منتجات العلم بإسم الحديث؟؟؟

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين خير من صام وصلى وخير من قام وأهل.
اللهم اجعل هذا العمل خالصا لوجهك الكريم.
اللهم اغفر به الذنوب وإستر به العيوب وفرج به الكروب.
اللهم إن كان فيه خير فثمره وإنفع به وإن كان فيه غير ذلك فاحجبه وأطره.
اللهم أنصر المقاومين حيثما كانوا.
اللهم أهل علينا هلال رمضان 1432 باليمن والبركة والسعة والخير.
اللهم أعنا على حسن الصيام وحسن القيام وحسن الذكر والتلاوة وحسن الإنفاق والمواساة.
اللهم ظفرنا بليلة هي خير من ألف شهر وإعتق فيها الرقاب من النار.
اللهم آمين.
اللهم آمين.
اللهم آمين.

والله تعالى أعلم.

الهادي بريك — ألمانيا.

